الشيخ ندا
أبو أحمد

وصايا رمضانية

(٥)

وصايا عامة

الشيخ/ندا أبو أحمد

وصايا عامة

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

وصايـا عامـة

الوصية الأولى: **عليك أخي الحبيب أن تكثر من الشكر لله تعالى أن مَنَّ عليك بنعمة الحياة حتى أدركت شهر رمضان، شهر المغفرة والرضوان**:

الوصية الثانية: **أوصيك بالمسارعة إلى التوبة والأوبة والرجوع إلى الله تعالى**:

فإن تبت أخي الحبيب فأنا أحمل لك جملة من البشارات:

البشارة الأولى: إذا تبت توبة نصوحًا؛ فإن الله تعالى يفرح بتوبتك، وكفى بهذا شرفًا لك.

البشارة الثانية: التوبة سبب لطهارة ونقاء القلب.

البشارة الثالثة: التوبة سبب للفلاح في الدنيا والآخرة.

البشارة الرابعة: التوبة والاستغفار سبب لسعة الرزق وزيادة في القوة.

البشارة الخامسة: التوبة النصوح سبيل للفوز بمحبة الله تعالى.

البشارة السادسة: التوبة سبب للفوز برحمة الله تعالى.

البشارة السابعة: التوبة سبب للخروج من دائرة الظالمين.

البشارة الثامنة: إذا تبت توبة نصوحًا؛ كفر الله عنك سيئاتك.

البشارة التاسعة: يبدل الله سيئاتك حسنات.

البشارة العاشرة: إذا تبت توبة نصوحًا؛ تدعو لك حملة العرش.

الوصية الثالثة: **إذا صمت فلتصم جوارحك**:

صيام اللسان. صيام الأذن. صيام العين. صيام اليد. صيام القدم.

صيام الفرج. صيام البطن عن أكل الحرام. صيام القلب.

بشرى لمن صام قلبه عن الأمراض المهلكة.

الوصية الرابعة: **اجتهد في رمضان بقدر ما تستطيع**:

الوصية الخامسة: **إن تعثرت في رمضان فلا تتوقف**:

الوصية السادسة: **احرص على أسباب المغفرة في رمضان**:

وأسباب المغفرة في رمضان كثيرة منها:

١- التوبة: كما مر بنا في الوصية الثانية. ٢- صيام رمضان.

٣- قيام رمضان. ٤- قيام ليلة القدر.

الوصية السابعة: اهتم بقلبك أكثر من اهتمامك بجسدك:

فمن صلح قلبه فقد وُلد من جديد.

الوصية الثامنة: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه، فالجزاء من جنس العمل:

١- فمن ترك الحرام في الدنيا طاعة لله؛ عوضه الله بأفضل وألذ منها في الآخرة.

٢- جزاء من ترك الشراب وأعطش نفسه لله تعالى.

٣- من صام وأعطش نفسه لله؛ كان جزاؤه أن يدخل من باب الريان.

٤- جزاء من ترك الطعام لله تعالى وصام.

٥- جزاء مَن أطعم مؤمنًا على جوع، أو سقاه على ظمأ، أو كساه على عري.

٦- جزاء من تصدق وأنفق على الفقراء.

٧- جزاء من ترك النوم وقام لله تعالى من الليل.

٨- جزاء من أطال القيام لله تعالى في الصلاة.

٩- جزاء من استقام على الصراط المستقيم.

الوصية العاشرة: عليك في رمضان وفي غيره أن تدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وترفق بالناس:

وإليك أخي الحبيب صورًا من رحمته ﷺ ورأفته بالناس:

١- الرفق بمن تكلم في الصلاة.

٢- الرفق بمن جاءه يستأذنه ﷺ في الزنا.

٣- الرفق بمن جامع زوجته في نهار رمضان.

٤- الرفق بمن جاء يسأله ﷺ عن أمر دينه.

٥- الرفق بمن رفع صوته في المسجد.

٦- الرفق بمن بال في المسجد.

الوصية الأولى: عليك أخي الحبيب أن تكثر من الشكر لله تعالى أن مَنّ عليك بنعمة الحياة حتى أدركت شهر رمضان، شهر المغفرة والرضوان:

أنعم الله تعالى على عباده بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، **فقال تعالى:** ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)

ومن نعم الله علينا أن جعل لنا مواسم للطاعات تتنزل فيها الرحمات، وترفع فيها الدرجات، وتتضاعف فيها الحسنات، ويغفر فيها كثير من الذنوب والمعاصي والزلات، والسعيد من يغتنم هذه الأوقات، ويتعرض لهذه النفحات، **وهذا ما حثنا عليه النبيُّ ﷺ فقال:** " **افعلوا الخيرَ دهرَكم، وتعرضوا لنفحاتِ رحمة الله، فإن لله نفحاتٍ من رحمتهِ، يصيبُ بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يسترَ عوراتِكم، وأن يؤمن روعاتِكم** ". (أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث أنس ﷺ)

وعند الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة أن النبي ﷺ قال: " **إن لربكم في أيام دهركم نفحاتٍ، فتعرضوا لها، لعل أحدكم أن يصيبه منها نفحةٌ لا يشقى بعدها أبدًا** ". (الصحيحة:١٨٩٠)

ولقد بين النبي ﷺ في هذه الأحاديث أنه ينبغي على الإنسان منا أن يتعرض لهذه النفحات الربانية، والمنح الإلهية، وشهر رمضان من النفحات الربانية، والمنح الإلهية على الأمة المحمدية.

ففي رمضان منحُ الرحمن، ونسائمُ القرآن، وروائحُ الجنان، فيه تطيبُ الأفواهُ، وتطهرُ الألسنة، وتُصان الفروجُ، وتمنع الآثام، فهو جُنة من الزلل، ووقاية من المعاصي، وحصن من السيئات، لا يخيب فيه سائل، أو يُطرد عنه محروم، عطاؤه كثير، وفيضه عميم، توج بليلة القدر، وتشرف بنزول القرآن، وبورك بنزول الملائكة، ورُفعت فيه راية الموحدين، فقد تم فيه نصر بدر، وفيه تم فتح مكة، فكان هو الفوز في البدء والختام والفرح بالسيادة والإيمان.

فالحمد لله لما أولانا فيه من النعيم، وحبانا فيه من الرحمات والطيبات.

فهو شهرٌ.... تنهمر فيه الرحمات من رب البريات.

شهرٌ.... مبارك كريم وموسم رابح عظيم وشهر تتضاعف فيه الحسنات.

شهرٌ.... أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

شهرٌ.... من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... من قامه إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... فيه ليلة خير من ألف شهر من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه.

شهرٌ.... تفتح فيه أبواب الجنان فلا يغلق منها باب.

شهرٌ .... تغلق فيه أبواب النيران فلا يفتح منها باب.

شهرٌ .... تصفد فيه الشياطين ومردة الجان.

شهرٌ .... من أتى فيه بعمرة كان كمن حج مع النبي ﷺ.

شهرٌ .... من فطر فيه صائمًا كان له مثل أجره.

شهرٌ .... لله فيه عتقاء من النار وذلك في كل ليلة.

وغير ذلك من الجوائز والمنح الربانية، والتي وهبها رب البرية للأمة المحمدية.

فالحمد لله أن منَّ علينا بنعمة الحياة وأطال في الأعمار حتى أدركنا هذه الأوقات المباركات؛ لنتزود فيها الأعمال الصالحات، ليوم لا تنفع فيه الحسرات، فبلوغ رمضان نعمة عظيمة، ومنحة جليلة، فكم غَيّب الموتُ من صاحب، ووارى الثرى من حبيب.

فكل من مَنَّ اللهُ عليه بنعمة الحياة حتى أدرك رمضان فليسجد لله شكرًا، وليحمده على هذه النعمة فهي **نعمة لا يعرف قدرها إلا من وقف على هذا الحديث:**

حديث أخرجه ابن ماجه بسند صحيح من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ: "أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِهِمَا، فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ، فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ:" مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ"! فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً "، قَالُوا: بَلَى، قَالَ:" وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟". – ***وفي رواية للإمام أحمد والبيهقي:*** " أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ، أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً لصلَاةِ السَّنَةِ "، قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ". (السلسلة الصحيحة: ٢٥٩١)

الله أكبر... لو ظل الإنسان منا ساجدًا لله تعالى إلى أن يلقاه لم يوفِّ شكر هذه النعمة، فلنحمد الله جميعًا على أن منَّ علينا بنعمة الحياة حتى أدركنا رمضان، وزِيد لنا عددٌ من الركعات كتبت في السجلات، وفي ميزان الحسنات.

الوصية الثانية: أوصيك بالمسارعة إلى التوبة والأوبة والرجوع إلى الله تعالى[1]:

نحن بشر، ولا يسلم إنسان منا من الوقوع في خطأ، أو زلل، أو معصية، كما أخبر بهذا النبي ﷺ.

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ ". (صحيح الجامع: ٤٥١٥)

ففي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: " كلُّ ابنِ آدَمَ خَطَّاءٌ "، أي: كلُّ إنسانٍ على وَجْهِ الأرضِ يُذنِبُ ويُكثِرُ من الخَطَأِ، فقولُه: خَطَّاءٌ صِيغةُ مُبالَغَةٍ، فلا عِصمَةَ لأحَدٍ إلَّا الأنبياءُ؛ ولذلك كان على الإنسانِ إذا وَقَعَ في خَطَأٍ أو مَعصيةٍ أنْ يُبادِرَ بالعَودَةِ والتَّوبةِ إلى الله عزَّ وجلَّ، لأنه لا يخفى على عاقل أن الذنوب والمعاصي شؤم على الأفراد والمجتمعات، فهي تُهلك الحرث والنسل، وتنزع البركة، وتمنع الرزق، وما حل بالأمم السابقة من هلاك وعذاب، إلا بسبب الذنوب وغلبة الأهواء، **قال تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦)

فكم أهلكت المعاصي من أمة، وكم دمرت من مجتمعات، وكم شردت من أفراد، **قال تعالى:** ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الأنبياء:١١)

يقول مجاهد-رحمه الله-: إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السّنة وأمسك المطر وتقول هذا بشؤم معصية بني آدم ".

وثبت في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي ﷺ أنَّ رَسولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُرَّ عليه بجِنَازَةٍ، فَقالَ: مُسْتَرِيحٌ ومُسْتَرَاحٌ منه. قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ! ما المُسْتَرِيحُ والمُسْتَرَاحُ منه؟ قالَ: العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِن نَصَبِ الدُّنْيَا وأَذَاهَا إلى رَحْمَةِ اللَّهِ، والعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ منه العِبَادُ والبِلَادُ، والشَّجَرُ والدَّوَابُّ ".

فالنبي ﷺ بين في هذا الحديث أن العبدُ الفاجرُ- وهوَ العاصي أو الكافرُ- فيَستَريحُ منهُ العِبادُ والبلادُ، والشَّجَرُ والدَّوابُّ؛ بالخَلاصِ مِن فُجُورِه وشُرورِه وأذاهُ، وهي أفعالٌ تَضُرُّ بالعِبادِ، وتكونُ سَبَبًا للهلاكِ، فيَمنَعُ اللهُ الخيرَ والمطرَ، فيَهلِكُ جميعُهُم بما فيهِم الشَّجرُ والدَّوابُّ.

وليس من شرور ولا بلاء إلا وسببه الذنوب والمعاصي، وما ظهرت المعاصي في ديار إلا أقحطتها، ولا تمكنت من قلوب إلا أعمتها، ولا فشت في أمة إلا أذلتها، وبالمعاصي يهون العبد على ربه فتُرفع مهابته من قلوب خلقه، **كما قال تعالى:** ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ (الحج:١٨)

١- هناك رسالة للمؤلف عن التوبة وهي ضمن سلسلة الكتاب الجامع للفضائل، على موقعي، وموقع الألوكة، وموقع صيد الفوائد، فارجع إليها فضلًا لا أمرًا.

والذنب بعد الذنب يقطع طرق الطاعة، ويصد عن سبيل الخيرات، وسبب للفقر، وتحول العافية واستجلاب سخط الله. وبالمعاصي تزول النعم وتحل النقم، وبسببها تتوالى المحن وتتداعى الفتن.

ومن فضل الله علينا أن جعل بمنه وكرمه باب التوبة مفتوحًا لعباده، مهما عظمت سيئاتهم، وكبرت خطيئاتهم، وارتكبوا العظائم والقواصم من الفواحش والمآثم.

ومن رحمة الله بنا وفضله علينا؛ أن جعل لنا مواسم للطاعات؛ تجاب فيها الدعوات، وترفعُ فيها الدرجات، وتتضاعف فيها الحسنات، وتقال فيها العثرات، ويغفر فيها كثير من الذنوب والمعاصي والسيئات، والسعيد الذي يغتنم هذه الأوقات ويتعرض لهذه النفحات.

والأمر كما قال الحبيب النبي ﷺ: **" افْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللَّهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ ".**

(رواه الطبراني من حديث أبي هريرة ﷺ)(ضعف هذا الحديث أهل العلم وحسنه الألباني في الصحيحة:١٨٩٠)

ومن هذه النفحات الربانية على الأمة المحمدية: شهر رمضان المبارك، فهو شهر الخيرات؛ تكثر فيه النفحات، وتتنزل في الرحمات من رب البريات، ويتوب الله فيه على من تاب.

وقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، صُفِّدتْ الشياطين، ومردة الجن، وغُلِّقتْ أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة ".**

(صحيح الجامع: ٧٥٩)

فها هي التوبة في رمضان معروضة، ومواسم الطاعات مشهورة، فلئن أتعبتك المعاصي، وأثقلتك الذنوب، فاعلم أن لك ربًا يريد منك أن تتوب: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء:٢٧)

فرمضان فرصة كبيرة ومنَّة عظيمة لنصطلح مع الله عز وجل حتى يرضى عنا ويدخلنا جنته.

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة:٢٢١)

فإلى الذين ذلّت أقدامهم وسقطوا في ذل المعصية وظلوا فيها زمنًا طويلًا، ها هو موسم الطاعات وسوق الخيرات قد جاء بما فيه من المنح المباركات، فاغتنمه لتُضَاعَف لك فيه الحسنات، ويمحى عنك فيه السيئات، وترفع لك فيه الدرجات، ها هو شهر الصيام أقبل فلا تستحِ أن ترفع يديك إلى مولاك طالبًا العفو والغفران والعتق من النيران، وأن يدخلك الجنان.

واعلم أيها المذنب... أن هذه الأمة لكرامتها على الله جعل توبتها الندم والإقلاع، فهي أسرع قبولًا وأسهل تناولًا. ***فقد جاء في تفسير ابن المنذر:*** أن الصحابة-رضوان الله عليهم- كانوا مجتمعين عند ابن مسعود ﷺ فتذاكروا بني إسرائيل وما أعطاهم الله من فضائل، فقال عبد الله بن مسعود ﷺ: كان الرجل من بني إسرائيل إذا ما أذنب ذنبًا كتب ذنبه على باب داره، وكتب معه كفارة ذلك الذنب، ليغفر ذلك الذنب. أما أنتم فجعل الله مغفرة ذنوبكم قولًا تقولونه بألسنتكم. **ثم تلا قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٥، ١٣٦)

فقال عبد الله بن مسعود ﷺ:" والله ما أُحِبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما-: أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنُوا وأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذى تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، **فنزل قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠)

ونزل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣)

فقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: " فما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء كفرحه بهذه الآية ".

وصدق ربنا حيث قال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء:١١٠)

ومن رحمته بنا أنه يبسط يده بالليل والنهار للمذنبين، وبابه دائمًا لا يغلق، ورحمته واسعة فيا له من إله رحيم، ورب كريم عظيم.

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ***عن النبي*** ﷺ ***قال:*** " إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"

أخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ ***عن النبي*** ﷺ ***قال:*** " قال إبليس: أي ربِّ! لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله تعالى: لا أزال أغفر لهم ما استغفروني".

- **فما أوسع حلم الله على عباده، وما أعظم فضله وامتنانه، فلنتوجه إلى الله تعالى ونتوب إليه، فهو غافر الذنب وقابل التوب. وهو القائل سبحانه:** ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه:٨٢)

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة:١٠٤)

فالذنوب مهما عظمت فعفو الله أعظم، ومن ظنَّ أن ذنبًا لا يتسع لعفو الله فقد ظن بربه ظن السوء.

وقد قَالَ تَعَالَى في الحديث القدسي:" يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً ".

(أخرجه الترمذي عَن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ) (صحيح الجامع:٤٣٣٨)

فهيا أخي الحبيب بادر بالتوبة؛ فالفرصة متاحة، ووسائل الهدى متوفرة، وأعوان الخير كثر، وأبواب السماء مفتوحة، فهيا تب إلى الله وارجع إليه قبل أن يأتيك الموت ويغلق دونك باب التوبة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء:١٧،١٨)

قال طلق بن حبيب–رحمه الله–:" أن حقوق الله تعالى أعظم من أن تقوم بها العباد، وإن نعم الله أكثر من أن تُحصى، ولكن اصبحوا تائبين، وامسوا تائبين ".

فاحمد الله أخي الحبيب على أن مد في عمرك لتدرك هذا الشهر العظيم المبارك، فكم غَيب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب.

وقد بكى أحد الصالحين عند موته، فسئل عن هذا فقال:" إنما أبكي عندما يصوم الصائمون ولستُ فيهم، ويُصلي المصلون ولستُ فيهم.

ودخل إبراهيم بن أدهم على بعض إخوانه يومًا وهو في سياق الموت، فجعل هذا الرجل يتنفس ويتأسف، فقال له إبراهيم بن أدهم: على ماذا تتنفس وتتأسف؟ فقال:" ما تأسفي على البقاء في الدنيا، ولكن تأسفي على ليلة نمتها، وعلى يوم أفطرته، وعلى ساعة غفلت فيها عن ذكر الله.

فكم من أناس كانوا يتمنون إدراك رمضان فلم يدركوه، ومنَّ الله عليك بنعمة الحياة حتى أدركت هذا الزمان المبارك. فجدَّ في التوبة وسارع إليها كما أمرك الله.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣)

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد:٢١)

فهيا نستجيب لنداء رب العالمين... حيث قال في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحريم: ٨)

قال عمر بن الخطاب وأبيّ بن كعب–رضي الله عنهما–: " التوبة النصوح: أن يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود إليه، كما لا يعود اللبن إلى الضرع ".

وقال الحسن البصري–رحمه الله–: " التوبة النصوح: أن يكون العبد نادمًا على ما مضى، مجمعًا على ألا يعود فيه ". (انظر مدارج السالكين لابن القيم)

وقال ابن القيم–رحمه الله– كما في" مدارج السالكين:١/٣١٦": " والتوبة النصوح تتضمن ثلاثة أشياء: استغراق جميع الذنوب، وإجماع الندم والصدق، وتخليصها من الشوائب والعلل، وهي أكمل ما يكون من التوبة ".

فأول الطريق أن يرى الإنسان عظيم جرمه، وفداحة ذنبه وخطئه، فهذا يجعله يسارع إلى الخلاص والأوبة، ويبادر إلى التوبة. **وقد قال النبي ﷺ:**" **إنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأنَّهُ قاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخافُ أنْ يَقَعَ عليه، وإنَّ الفاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبابٍ مَرَّ علَى أنْفِهِ فقالَ به هَكَذا**، **قالَ أبو شِهابٍ**: بيَدِهِ فَوْقَ أنْفِهِ.
(أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه)

وهنا أتوجه للذين لا يعرفون شرف هذا الزمان، ويبارزون الله بالعصيان في شهر رمضان، أقول لهم: أنتم على خطر عظيم، إن لم تتوبوا وتعودوا إلى رب العالمين، ويدل على هذا:

ما أخرجه والطبراني عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: " **أتاني جبريل فقال: يا مُحمَّد! من أدركَ أحدَ والديْهِ فماتَ فدخلَ النَّارَ فأبعدَه الله، قُل: آمين، فقلتُ:" آمين"، قال: يا محمَّد، مَن أدرك شهرَ رمضانَ فماتَ فلم يُغْفَرْ لهُ فأُدْخِلَ النَّارَ فأبعدَه الله، قُل: آمين، فقلتُ:" آمين"، قال: ومن ذُكِرْتَ عندَه فلم يُصَلِّ عليكَ فماتَ فدخلَ النَّارَ فأبعدَه الله، قُل: آمينَ، فقلتُ:" آمين".**

وعند البزار بلفظ: " **صعِد النَّبيُّ ﷺ المنبرَ، فقال: آمين، آمين، آمين، فلمَّا نزل سُئل عن ذلك، فقال: أتاني جبريلُ، فقال: رغِم أنفُ امرئٍ أدرك رمضانَ فلم يُغفرْ له، قُلْ: آمين، فقلتُ: آمين، ورغِم أنفُ امرئٍ ذُكِرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك، قُلْ: آمين، فقلتُ: آمين، ورغِم أنفُ رجلٍ أدرك والدَيْه أو أحدَهما فلم يُغفرْ له، قُلْ: آمين، فقلتُ: آمين** ".

قل لي بالله عليك؛ كيف سيكون حال هذا الرجل الذي دعا عليه سيد الملائكة، وأَمَّنَ عليه سيد البشر؟

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" رغِمَ أَنفُ رجلٍ ذُكِرتُ عندَهُ فلم يصلِّ عليَّ، ورَغِمَ أنفُ رجلٍ دخلَ علَيهِ رمضانُ ثمَّ انسلخَ قبلَ أن يُغفَرَ لَهُ، ورغمَ أنفُ رجلٍ أدرَكَ عندَهُ أبواهُ الكبرَ فلم يُدْخِلاهُ الجنَّةَ ".** (صحيح الترمذي: ٣٥٤٥) (صحيح الجامع: ٣٥١٠)

وقوله: **" رَغِمَ أَنْفُ"**: أي: لُصِقَ أَنْفُه بِالرَّغامِ، وهو التُّرابُ المختلِطُ بِالرَّملِ، والمرادُ به: الذُّلُّ والخزيُّ، وكرَّرها ثلاثًا؛ زِيادةً في التَّنفيرِ والزَّجرِ عمَّا يُذكَرُ بعْدَه.

فمن حُرم المغفرة في شهر الغفران والعتق من النيران فهو المحروم، فليذرف على ما فرط دموع الأسى، وهيهات أن تُجدي الحسرة أو ينفع البكاء، بعد فوات الفرصة، وانقضاء المدة، وانتهاء السباق.

" فيامن ذنوبه كثيرة لا تعد، ووجه صحيفته بمخالفته قد أسود، كم يدعوك مولاك إلى الوصال وتأبى إلا الصد، أمَّا الموت فقد سعى نحوك وجدَّ، عزم أن يلحقك بالأب والجد، فاحذر الموت أن يأتي على المعاصي، فإنه إذا أتى أبى الرَّد ". (التبصرة لابن الجوزي:٢/٢٦٦)

فيا أيها العصاة... بادروا بالتوبة من الآن، واجعلوا من شهر رمضان نقطة تحول من الشرك إلى التوحيد، ومن الظلم إلى العدل، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن العقوق إلى البر، ومن القطيعة إلى الصلة، ومن الإساءة إلى الإحسان، ومن البدعة إلى السنة، ومن الكذب إلى الصدق، ومن مساوئ الأخلاق إلى مكارم الاخلاق، ومن أكل الحرام إلى أكل الحلال، ومن الفرقة إلى الاعتصام، ومن التهاجر إلى البدء بالسلام، ومن مجالس الغيبة والبهتان إلى مجالس العلم والقرآن.

وأنتِ يا اختاة فرِّي إلى الله من التبرج والسفور إلى الحشمة والوقار، حتى لا تكونين من أهل النار، ***فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" صِنْفانِ مِن أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النَّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذا وكَذا ".**

فيا أخي الحبيب... إن فاتك موسم الغفران والعتق من النيران فلا تيأس من رحمة الله، وجدد التوبة والأوبة، فالفرصة مازالت أمامك، طالما فيك نفس يتردد، وقلب يدق، وعرق ينبض.

فهيا أخي الكريم... ما عليك إلا أن ترفع يدك إلى السماء في ذل وخشوع وتقول: يا رب هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير وليس لي سيِّدٌ سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، أدعوك دعاء الخائف الضرير سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه، أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، أسألك بعزك وذلي، إلا غفرت لي ورحمتني.

قل كما قال أحدهم:

لبستُ ثوبَ الرَّجا والنّاسُ قد رقدُوا ... وبتُّ أشكو إلى مـولايَ ما أجـدُ
وقلـتُ: يا أملي فـي كـلِّ نائبـةٍ ... ومَـنْ عليه لكشفِ الضُرِّ أَعتمـدُ
أشكـو إليكَ أمـورًا أنتَ تعلمُهـا ... ما لي على حِمْلها صبرٌ ولا جلدُ
وقـد مـددتُ يدي بالذّلِّ مبتهـلًا ... إليكَ يا خـيرَ مـن مُدّتْ إليه يـدُ
فـلا تَـرُدَّنَّهـا يـا ربِّ خائبـةً ... فبحـرُ جـودِكِ يروي كلَّ من يَـرِدُ

قل يا رب:

أذنبت كـل ذنـوب لست أُنْكِرُهـا ... وقـد رجـوتك يـا ذا المَنِّ تغفرهـا
أرجـوك تغفرهـا في الحشر يا سيدي ... إذ كنت يـا أملي في الأرض تسترها

فإن تبت أخي الحبيب فأنا أحمل لك جملة من البشارات:

البشارة الأولى: إذا تبت توبة نصوحاً؛ فإن اللّه تعالى يفرح بتوبتك، وكفى بهذا شرفاً لك:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيِسَ منها، فأتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إذَا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ ".

قال ابن القيم-رحمه الله-: " ولم يجئ هذا الفرح في شيء من الطاعات سوى التوبة، ومعلوم أن لهذا الفرح تأثيرًا عظيمًا في حال التائب وقلبه، ومزية لا يعبر عنها ". اهـ

البشارة الثانية: التوبة سبب لطهارة ونقاء القلب:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ العبدَ إذا أخطأ خطيئةً نكتَتْ في قلبِه نكتةً سوداءَ، فإن هو نزَع واستغفر صَقَلَتْ، فإن عاد زِيدَ فيها حتى تعلوَ قلبَه، فهو الرَّانُ الذي ذكر اللهُ تعالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:١٤)".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٤٦٩) (صحيح الجامع:١٦٧٠)

- ***وفي رواية:*** " إنَّ المُؤمِنَ إذا أذنَبَ كانت نُكتَةٌ سَوداءُ في قَلبِه، فإنْ تابَ ونزَعَ واستغفَرَ؛ صُقِلَ قَلبُه، وإنْ زادَ زادَت، حتى يَعلُوَ قَلبَه ذاك الرَّانُ الَّذي ذكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ في القُرآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (صحيح الترغيب والترهيب: ٣١٤١) (صحيح الترمذي: ٣٣٣٤)

البشارة الثالثة: التوبة سبب للفلاح في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ (القصص:٦٧)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم، ذكر الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب اللّه تعالى، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك والمعاصي، وآمن باللّه فعبده، وآمن برسله فصدقهم، وعمل صالحا متبعا فيه للرسل، ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ﴾ من جمع هذه الخصال ﴿مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الناجحين بالمطلوب، الناجين من المرهوب، فلا سبيل إلى الفلاح بدون هذه الأمور". اهـ

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: " وقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة ثم علق على ذلك الفلاح، فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله، ظاهرا وباطنا، إلى: ما يحبه ظاهرا وباطنا، ودل هذا، أن كل مؤمن محتاج إلى التوبة، لأن الله خاطب المؤمنين جميعا، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لا لمقصد غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياء وسمعة، أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة ". اهـ

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " فإذا أراد الله بعبده خيرًا فتح له من أبواب التوبة والندم والانكسار والذل والافتقار والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به رحمته، حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه. وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة، ويعمل الحسنة يدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه منه مشفقًا وجلًا باكيًا نادمًا مستحيًا من ربه تعالى ناكس الرأس بين يديه منكسر القلب له، فيكون ذلك الذنب أنفع له من طاعات كثيرة بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة. ويفعل الحسنة فلا يزال يمن بها على ربه ويتكبر بها ويرى نفسه ويعجب بها ويستطيل بها ويقول فعلت وفعلت، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه. فإذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرًا ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ويصغر به نفسه عنده، وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره، وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه. فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق أن لا يكلك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان أن يكلك الله تعالى إلى نفسك. فمن أراد الله به خيرًا فتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجأ إلى الله تعالى والافتقار إليه، ورؤية عيوب نفسه وجهلها وعدوانها، ومشاهدة فضل ربه وإحسانه ورحمته وجوده وبره وغناه وحمده".

البشارة الرابعة: التوبة والاستغفار سبب لسعة الرزق وزيادة في القوة:

قال هود عليه السلام لقومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (سورة هود:٥٢)

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (سورة نوح:١٠ - ١٢)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره:٨/٢٦٠" معلقًا على هذه الآيات من سورة نوح: " أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدَرَّ لكم الضَّرْعَ، وأمدكم بأموال وبنين؛ أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها ". اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود: ٣)

قال السعدى-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية: " **وقوله:** ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ عن ما صدر منكم من الذنوب ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ فيما تستقبلوه من أعماركم، بالرجوع إليه، بالإنابة والرجوع، عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه، ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبة فقال: ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ أي يعطيكم من رزقه، ما تتمتعون به، وتنتفعون ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: إلى وقت وفاتكم ﴿وَيُؤْتِ﴾ منكم ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ أي يعطي أهل الإحسان والبر من فضله وبره، ما هو جزاء لإحسانهم، من حصول ما يحبون، ودفع ما يكرهونه. ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ما دعوتكم إليه، بل أعرضتم عنه، وربما كذبتم به ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ وهو يوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين، فيجازيهم بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرًّا فشر ". اهـ

البشارة الخامسة: التوبة النصوح سبيل للفوز بمحبة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ والتواب صيغة مبالغة من تائب بمعنى راجع إلى ربه إذا زل وهفا. والمتطهر: هو الإنسان المتنزه عن الفواحش والأقذار. أي: إن الله- تبارك وتعالى- يحب عباده الذين يكثرون الرجوع إليه إذا ما ظلموا أنفسهم بسيئة من السيئات، والذين يصونون أنفسهم وينزهونها عن المعاصي والآثام، ويرضى عنهم في الدنيا والآخرة. (التفسير الوسيط)

البشارة السادسة: التوبة سبب للفوز برحمة الله تعالى:

قال نبي الله صالح عليه السلام لقومه: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (النمل:٤٦)

قال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره:٦/١٩٢ عند هذه الآية": وفي قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قال مجاهد:" بالعذاب قبل الرحمة[1]، المعنى لما تؤخرون الإيمان الذي يجلب إليكم إليكم الثواب، وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب، فكان الكفار يقولون لفرط الإنكار: ايتنا بالعذاب، وقيل: أي لم تفعلون ما تستحقون به العقاب، لا أنهم التمسوا تعجيل العذاب ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ أي هلا تتوبون إلى الله من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي ترحموا ". اهـ

البشارة السابعة: التوبة سبب للخروج من دائرة الظالمين:

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات:١١)

قال ابن القيم-رحمه الله-:" ومنزل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به فالتوبة هي بداية العبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية كما أن حاجته إليها في البداية كذلك **وقد قال تعالى:** ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه وأتى بأداة (لعل) المشعرة بالترجي إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم. ثم قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قسم اللهُ العبادَ إلى تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث ألبته، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب؛ ولا أظلم منه لجهله بربه، وبحقه، وبعيب نفسه، وآفات أعماله ". اهـ

البشارة الثامنة: إذا تبت توبة نصوحاً؛ كفر الله عنك سيئاتك:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم:٨)

١- ورواه الطبري في تفسيره:(جامع البيان: ١٩ / ١٠٧).

يقول ابن القيم-رحمه الله-: " إذا تاب العبد توبة نصوحًا صادقةً خالصةً أحرقت ما كان قبلها من السيئات، وأعادت عليه ثواب حسناته يُوَضِّحُ هذا أنَّ السيئاتِ والذنوب هي أمراضٌ قلبية، كما أن الحمَّى والأوجاع أمراضٌ بدنيةٌ، والمريضُ إذا عُوفي من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها، حتى كأنه لم يَضْعُفْ قط؛ فالقوةُ المتقدِّمة بمنزلة الحسنات، والمرضُ بمنزلة الذنوب، والصحةُ والعافيةُ بمنزلة التوبة سواء بسواء. وكما أن من المرضى من لا تعود إليه صحته أبدًا؛ لضعف عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت؛ لتقاوم الأسباب وتدافعها، وعَوْدِ البدن إلى كماله الأول، ومنهم من يعود أصحَّ مما كان وأقوى وأنشط؛ لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض، حتى ربما كان مرض هذا سببًا لعافيته، **كما قال الشاعر:**

لعل عَتْبَك محمودٌ عواقِبُه وربما صَحَّت الأجسام بالعِلَل

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث، والله الموفق، لا إله غيره، ولا رب سواه ". اهـ

(الوابل الصيب:١/ ٢٤)

- وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والحاكم في المستدرك من حديث عقبة بن عامر الجهني ﷺ **أنَّ رَجُلًا أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، أحَدُنا يُذنِبُ، قالَ: يُكتَبُ عليهِ، قالَ: ثمَّ يَستغْفِرُ منه ويَتوبُ؟ قالَ: يُغفَرُ له ويُتابُ عليه، قالَ: فيَعودُ فيُذْنِبُ؟ قالَ: يُكْتَبُ عليهِ، ولا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَمَلُّوا ".** (قال الهيثمي في المجمع: إسناده حسن)

- وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عبيد بن عمر في قوله تعالى: ﴿ **إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا** ﴾ (سورة الإسراء:٢٥) ***قال:*** " هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب ".

- وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ ***قال: قال رسول الله*** ﷺ**:**

" أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فأذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ له رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، اعْمَلْ ما شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ ". أي: ما دمت تائبًا أواها منيبًا.

قال المنذري-رحمه الله-: " وفي قوله:" **فَلْيَعْمَلْ ما شاءَ**" معناه والله أعلم: أنه ما دام كلما أذنب ذنبًا استغفر الله وتاب منه، ولم يعد إليه بدليل قوله: ثم أذنب ذنبًا آخر، فليفعل إذا كان هذا دأبه ما شاء، لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره، لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هذه توبة الكاذبين ". اهـ

البشارة التاسعة: يبدل الله سيئاتك حسنات:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان: ٦٨-٧٠)

البشارة العاشرة: إذا تبت توبة نصوحاً؛ تدعو لك حملة العرش:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(غافر: ٧-٩)

جعلني الله وإياكم ممن إذا زل تاب، وأن يرزقنا توبة نصوحًا قبل الممات، إنه هو التواب الرحيم الرحمن.

الوصية الثالثة: إذا صمت فلتصم جوارحك:

يقول جابر ﷺ كما في "مصنف ابن أبي شيبة": " إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك وفطرك سواء".

ويقول زين العابدين-رحمه الله-: " حق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك، ليسترك من النار" وهكذا جاء في الحديث:" الصوم جُنَّة من النار ".

(رسالة الحقوق ص:١٠٧)

ويقول ابن الجوزي-رحمه الله- كما في "بستان الواعظين ص: ٣٠٠": " ما من جارحة في بدن الإنسان إلا ويلزمها الصوم في رمضان وغير رمضان، فصوم اللسان: ترك الكلام إلا في ذكر الله تعالى، وصوم السمع: ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه، وصيام العينين: ترك النظر والغض عن محارم الله ". اهـ.

وإذا نظرت إلى كلام ابن الجوزي-رحمه الله-؛ علمت أن لكل جارحة عليها صيام، وصيامها أن تكفَّ عن العصيان، فاللسان يصوم عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، والفم يصوم عن الحرام وشرب الدخان، والأذن تصوم عن سماع ما يغضب الرحمن، والعين تصوم عن النظر إلى النسوان، واليد تصوم عن أخذ الرشوة والسرقة والبطش والطغيان، والبطن تصوم عن أكل الحرام، والقلب يصوم عن الكراهية والبغضاء والشحناء والحسد والخصام.

ومَن يجهل حقيقة هذا الصيام فله حظ ونصيب من كلام الحبيب ﷺ: " **رُبَّ صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبَّ قائمٍ ليس له من قيامه إلا السهر** ".

(رواه الإمام أحمد وابن ماجه والنسائي عن أبي هريرة ﷺ وهو في صحيح الجامع: ٣٤٨٨)

وهذا لأنه صام عن الطعام والشراب وهو أهون الصيام، لكن لم تصم جوارحه عن الحرام، فتراه لا يمنعه صومه من إطلاق اللسان، والوقوع في الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، ويطلق للأعين والآذان الحبل والعنان، لتقع في الذنوب والعصيان، ***وصدق بعض الحكماء حيث قال:*** " كم من صائم مفطر، وكم من مفطر صائم ".

- ***قال الغزالي-رحمه الله- في الحديث السابق:" قيل:*** هو الذي يفطر على حرام، أو مَن يفطر على لحوم الناس بالغيبة، أو مَن لا يحفظ جوارحه عن الآثام ". اهـ.

صيـــام اللســـان:

وصيام اللسان يكون بالإمساك عن فضول الكلام والخوض في الباطل والمراء، والخصومة والكذب والنميمة والفحشاء والجفاء، واللعن والسخرية والاستهزاء.

وإذا كان صوم اللسان يكون على الدوام، إلا أنه يتأكد عند الصيام، كما جاءت بذلك الأخبار عن الحبيب المختار ﷺ.

- ***فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث [1] ولا يجهل [2]، وإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إني صائم. إني صائم** ".

قال القرطبي -رحمه الله-: " لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم ".

- ***وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** " **مَن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه** ".

قال ابن بطال-رحمه الله -: " ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه ".

أحبتي في الله... إن الصيام لم يشرع لتُحْرَم من الأكل والشراب ساعات النهار، ولكن المقصود أن نكسر شهوات النفس، ونمسك عنان اللسان عن تتبع العورات، والخوض بالباطل، ونحفظ الجوارح عن ارتكاب ما حرَّم الله، **قال تعالى:** ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ (الحج:٣٧)

١- الرفث: الكلام الفاحش، كما قال الحافظ في "الفتح" (١٢٦/٤)

٢- ولا يجهل: أي لا يفعل شيئًا من أفعال أهل الجهل، كالصياح والسفه... ونحو ذلك.

- **ومن أعظم آفات اللسان والتي تقدح في الصيام الغيبة والكذب.**

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي عبيدة بن الجراح ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" الصيام جنة ما لم يَخْرِقها ".** ***قال أبو محمد الدارمي:*** " يعنى بالغيبة ".

وقال أبو هريرة ﷺ كما جاء في" شعب الإيمان": **" الغيبة تخرق الصيام، والاستغفار يرقعه، فمَن استطاع منكم ألا يأتي بصوم مخرق فليفعل ".**

وتقول حفصة بنت سيرين-رحمها الله -: " الصيام جنة ما لم يَخْرِقها صاحبها، وخرقها: الغيبة ".

وقال عبيدة السلماني-رحمه الله-: " اتقوا المفطِرَين: الغيبة والكذب ".

وقال مجاهد-رحمه الله-: "مَن أحب أن يسلم له صومه؛ فليجتنب الغيبة والكذب ".

وقال أيضًا: " خصلتان مَن حفظهما سلم له صومه: الغيبة والكذب ".

وقال الشاعر في هذا المعنى:

إذا لم يكن في السمع مني تَصَوُّنٌ ... وفى بصري غضُ، وفى منطقي صمتُ

فحظي إذًا من صومي الجوعُ والظمأُ ... وإن قلتُ إني صمت يومًا فما صمت

فكيف يزعم الصيام مَن هو يكذب ويغتاب، ويكثر الشتم والسباب، وقد نسى يوم الحساب؟!

كيف يصوم من شهد الزور، ولم يكف عن المسلمين الشرور؟!

صيـــام الأذن:

وصيام الأذن يكون بالبُعْد عن سماع الحرام، وعن كل ما يغضب الرحمن، سواء كان في رمضان أو في غيره؛ لأننا سنحاسب على كل ما نسمعه بإرادتنا، **قال تعالى:**

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦)

- **وانظر إلى الحبيب النبي ﷺ عندما نزَّه أذنه عن سماع المعازف.**

فقد أخرج الإمام أحمد عن نافع مولى ابن عمر -رضي الله عنها- قال: **" كنت أسير مع ابن عمر، فلما سمع زمارةَ راعٍ، فوضع أصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته إلى الطريق، وهو يقول: يا نافع أتسمع، فأقول: نعم. فيمضي، حتى قلت: لا. فرفع يده وعدل راحلته إلى الطريق، وقال: رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارةَ راعٍ فوضع أصبعيه في أذنيه كما فعلت " -** ***وفي رواية:*** **" فصنع مثل هذا ".**

قال القرطبي-رحمه الله-: " وهذا في غناء هذا الزمان، عندما كان يخرج عن حد الاعتدال فكيف بغناء زماننا ".

يا الله، القرطبي يقول هذا وهو من القرن السادس من الهجرة، فكيف لو رأيتَ يا قرطبي زماننا؟

وكذلك كل مَن يستمع إلى غيبة أو نميمة أو فحش... أو غير ذلك مما حرَّمه الشرع الحكيم؛ فهو شريك للقائل في الإثم تمامًا بتمامٍ، ***ولا أدل على ذلك من قصة ماعز الأسلمي والتي جاء ذكرها في الحديث الذي أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ قال:*** " جاء الأسلمي- أي ماعز الأسلمي- إلى رسول الله ﷺ؛ فشهد على نفسه بالزنا أربع شهادات، يقول: أتيت امرأة حرامًا، وفي كل ذلك يعرض عنه رسول الله ﷺ - فذكر الحديث- إلى أن قال:" فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تُطَهِّرَنِي، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُرْجَم، فَرُجِمَ، فسمع رسول الله ﷺ رجلين من الأنصار يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى رُجِمَ رَجْمَ الكلبِ، قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم سار ساعة فمرَّ بجيفة حمار شائل برجله، فقال: أين فلان وفلان؟ فقالا: نحن ذا يا رسول الله، فقال لهما: كُلا من جيفة هذا الحمار: فقالا: يا رسول الله غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، مَن يأكل من هذا؟! فقال رسول الله ﷺ: ما نلتما من عرض هذا آنفًا أشد من أكل هذه الجيفة، فوالذي نفسي بيده إنه الآن في أنهار الجنة ".

الشاهد من الحديث: ***هو قول النبي ﷺ لمن تكلَّم بالغيبة، ولمن استمع له:*** " كُلا من جيفة هذا الحمار".

فَعُلِمَ بهذا أن المستمع شريك القائل في الخير والشر.

ورأى عمر بن عتبة مولاه مع رجل وهو يغتاب آخر، فقال عمر بن عتبة لمولاه: " ويلك نَزِّه سمعك عن استماع الخنا -الفحش من القول- كما تُنزِّه نفسك عن القول به، فالمستمع شريك القائل، إنما نظر إلى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو ردت كلمة سفيه في فِيهِ؛ لسعد بها رادها كما شقي بها قائلها ".

- **فعلينا جميعًا أن نُنَزِّه أسماعنا عن سماع الحرام؛ امتثالًا لقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾

(القصص:٥٥)

ولا بد أن نعلم كذلك أن السمع من نِعَم الله علينا، فلا نعصيه بنعَمِهِ، كما ينبغي علينا كذلك أن نشكر الله على هذه النعمة، وشكر النعمة يكون عن طريق عدم سماع الحرام وسماع ما يُرْضِي الرحمن، وهذا هو حقيقة الصيام.

وكان النبي ﷺ يستعيذ ويقول: " اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي...". **(أخرجه الترمذي وأبو داود بسند صحيح)**

صيـــام الـعـيـن:

وصيام العين هو عدم إطلاقها فيما حرَّم الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور: ٣٠،٣١)

وغض البصر معناه: الخفض وإطباق الجفن على العين بحيث يمنع الرؤية، وقد يكون بمجرد صرف البصر عن المنهي عنه، وهذا هو صيام العين.

أخرج الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: " **سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة، فقال: اصرف بصرك** ".

- **لكن مَن خالف وأطلق العنان لبصره فيما حرَّم الله؛ فقد وقع بعينه في الزنا، كما أخبر النبي ﷺ.**

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **كُتِبَ على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر...**". **الحديث**

بل وستشهد عليه عينه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (فصلت: ٢٠)

فعلى الإنسان أن يتقي الله في هذه الجوارح، والتي ستكون خصمه يوم القيامة، وسيُسألُ عنها بين يدي ربِّ العالمين، **قال تعالى:** ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦)

واعلم أخي الحبيب... أن البصر نعمة من الله تعالى فلا تعصِ الله بنعَمِه.

يقول ابن الجوزي-رحمه الله -: " إنما بصرك يا أخي نعمة فلا تعصِ الله بنعَمِهِ ".

وصدق أبو الأعلى المودودي-رحمه الله- قال: " مَن الذي يكابر في أن كل ما قد حصل في الدنيا إلى هذا اليوم ولا يزال يحدث فيها من الفحشاء والفجور باعثه الأول والأعظم هو فتنة النظر".

وصدق القائل حيث قال:

كل الحوادث مبدؤها النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

- **وإطلاق البصر فيما حرم الله له عواقب وخيمة منها:**

فساد القلب وأسره، تشتيت النفس، فقدان حلاوة الإيمان، فقدان لذة العبادة والخشوع، نسيان العلم وضعف الذاكرة، الغفلة عن الآخرة، قسوة القلب، الوحشة، الظلمة، القلق، الاكتئاب.

ومن هنا تعلم لماذا كان النبي ﷺ يتعوَّذ من شر البصر فكان يقول: " **اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري...**". (أخرجه أبو داود والترمذي)

صيـــام الـيـد:

وصيام اليد هو كفّها عن البطش والقتل والسرقة وأخذ الرشوة... وغير ذلك من ألوان المعاصي والذنوب

فعلى الإنسان منا ألا يبسط يده إلا في الخير، كما علمنا النبي ﷺ

فقد أخرج الطبراني من حديث الأسود بن أصرم المحاربي ﷺ قال: **" قلت: يا رسول الله أوصني، قال: أتملك يدك؟ قلت: فما أملك إذا لم أملك يدي! قال: أتملك لسانك؟ قال: فما أملك إذا لم أملك لساني!، قال: فلا تبسط يدك إلا إلى الخير، ولا تقل بلسانك إلا معروفًا ".**

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: **" إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، ولا يجهل، فإن شاتمه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائم إني صائم ".**

فأنت أخي الحبيب... ترى أن الصائم إذا قاتله أحدٌ – أي دفعه بيده – فإنه لا يقابله بالمثل؛ لأنه لا يسعى بهما إلا في الخير كما علمنا النبي ﷺ.

صيـــام الـقـدم:

وصوم القدمين هو كفّهما عن السعي إلى الحرام.

وعلينا جميعًا أن نعلم أن هذه الخطوات التي نمشيها إما إلى خير وإما إلى شر مسطورة مكتوبة.

فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: **﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾** (الزلزلة:٤)، **قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أَمَة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عملت كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها ".**

وإذا أردت أخي الحبيب... أن تسعى بقدمك إلى معصية فابحث عن أرض لا تشهد عليك!!!!

فاتَّقِ الله في هذه القدم والتي ستشهد عليك يوم القيامة، **قال تعالى:** **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** (يس:٦٥)

وقال تعالى: **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** (النور:٢٤)

وقفة: ***جاء في كتاب" تاريخ الإسلام: ٦/٢٤٧" عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة قال:*** **" خرج أبي[1] إلى الوليد بن عبد الملك حتى إذا كان بوادي القرى وجد في رجله شيئًا فظهرت به قرحة، ثم ترقَّى به الوجع، فلما قدم على الوليد، قال: يا أبا عبد الله اقطعها، قال: دونك. فدعا له الطبيب، وقال له: اشرب المُرَقِّدْ فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد على قوله: حَسَّ حَسَّ، فقال الوليد: ما رأيت شيخًا أصبر من هذا، ولما رأى عروة القدم بأيديهم دعا بها، فقلَّبها في يده، ثم قال: أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام – أو قال: معصية –".**

١- عروة بن الزبير - رضي الله عنه-.

صيـــام الـفـــرج:

وصيام الفرج هو البعد عن الزنا واللواط، أو الاستمناء، فمَن وقع فيما ذكر فقد وصفه رب العالمين في كتابه الكريم بأنه من المُتعدِّين، **فقال تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون: ٥-٧)

- **فعلى الإنسان أن يحفظ فرجه عن الزنا؛ امتثالًا لقوله تعالى:** ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:٣٢)

ورب العالمين يغار عندما يزني عبده، أو تزني أَمَتُهُ.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري أن الحبيب النبي ﷺ قال في صلاة الخسوف: **" يا أُمَّة محمد! ما من أحدٍ أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ".**

وكان النبي ﷺ أخوف ما يخاف علينا الزنا.

فقد أخرج الطبراني عن عبد الله بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" إن أخوف ما أخاف عليكم الزنا ".** (السلسلة الصحيحة: ٥٠٨)

- **وكذلك يحفظ فرجه من عمل قوم لوط.**

وعمل قوم لوط: هو أن يأتي الرجلُ الرجلَ، وكان النبي ﷺ أخوف ما يخاف علينا منه.

فقد أخرج الترمذي وابن ماجه من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط ".**

- **وكذلك حفظ الفرج من إتيان المرأة وهي حائض أو في دبرها.**

فقد أخرج أبو داود عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" مَن أتى حائضًا أو امرأة من دبرها أو كاهنًا فصدَّقه، فقد كفر بما أُنْزِل على محمد ".** (صححه الألباني في "آداب الزفاف")

وبالجملة: فعلى الإنسان أن يحفظ الجوارح جميعها عن الحرام؛ حتى لا يقع في زنا الجوارح.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له أن النبي ﷺ قال: **" إن العين لتزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه الكلام، واليد تزني وزناها اللمس، والقلب يهوى ويتمنَّى، والفرج يصدِّق ذلك كله أو يكذبه ".**

فعلى العبد أن يحفظ جوارحه عن كل ما يغضب الله تعالى.

صيام البطن عن أكل الحرام:

وصيام البطن عن طريق اجتناب الحرام، وهذا لم يفهمه البعض، فتراه في رمضان يصوم عن الحلال من الطعام والشراب، ولكنه منغمس في الحرام؛ فتراه يتعامل بالربا، أو يأكل أموال اليتامى ظلمًا، أو يأخذ الرشوة، أو يحتال على الناس بالسرقة... وغير ذلك من ألوان أكل الحرام.

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال: **" يأتي على الناس زمان لا يبالي المرءُ بما أخذ المال، أمن الحلال أم من الحرام؟".** (أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ)

فصوم البطن لا يكون إلا بالتَّنَزُّه عن الحرام كله.

فتصوم البطن عن أكل أموال اليتامى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠)

وكذلك تصوم البطن عن أكل الربا، وهذه علامة على صحة الإيمان، قال الواحد الديان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨)

- وفى الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن حنظلة -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد من ستة وثلاثين زنية ".**

- وكان يوسف بن أسباط -رحمه الله- يقول: " إن الشاب إذا تعبَّد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ".

- وقال وهب بن الورد-رحمه الله-: " لو قمت قيام السارية ما نفعك؛ حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام؟".

- وقال ميمون بن مهران-رحمه الله-: " لا يكون الرجل تقِيًّا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك الشحيح لشريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه ".

صيـــام الـقـلـب:

وصيام القلب من أرقى أنواع الصيام، ***وقد سمَّاه الغزالي -رحمه الله- في "الإحياء":*** بصيام "خصوص الخصوص"، وهو عبارة عن صوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله بالكلية، فهو إقبال بكل الهمة على الله ﷻ وانصراف عن غير الله سبحانه.

والقلب هو محل السعادة والشقاء، والإيمان والكفر، واليقين والشك، وإنما فرض الصيام لأسرار وحكم لا يدركها مَن كان أكبر همه أن يمتلئ بطنه بعد طول فراغ، وأن يطفئ حرارة الجوع، وشدة العطش عند مغيب الشمس، وذلك آخر عهده بالصوم.

إنما فُرِضَ الصوم ليسُلَّ من الصدور سخائمها، وليدفع عن القلوب أوضارها، وليؤتِ النفوس تقواها.

وبالصوم تنسد مسالك الأكل والشرب، ويفرغ القلب للتذكُّر والتدبُّر، والنظر والتأمُّل، فيرى حقيقة الدنيا وحقارتها، وقلة شأنها وهوانها، وأنها مهما عظمت فهي حقيرة، ومهما طالت فهي قصيرة.

أضف إلى هذا أن الصائم الصادق قد ستر قلبه عن الأحقاد والضغائن، وحال الصوم بينه وبين ما يفسده من أمراض القلوب، التي تقتل صاحبها في الدنيا، قبل أن تقتله أمراض البدن.

ويكفي ذمًّا للشحناء والتباغض والتقاطع والتدابر أنها قاطعة للبر والصلة ماحقة للخير والبركة، مانعة من المغفرة في ليلة النصف من شعبان وكذا يوم الاثنين والخميس.

وكيف يصوم مَن أفطر قلبه على سيئ الأعمال، وكريه الأخلاق، وانطوى صدره على الغش لإخوانه، وإلقاء العداوة بينهم، وإذكاء نيران الفرقة في صفوفهم؟

فصيام القلب يكون بتفريغه من هذه المواد الفاسدة سواء أكانت شركِيَّات مهلكة أو اعتقادات باطلة، ومن وساوس سيئة، ومن نوايا خبيثة، ومن خطرات موحشة.

ويصوم قلب المؤمن كذلك عن الكبر والعُجب والرياء والحسد، فإذا صام القلب عن هذا كله؛ فإنه يصبح قلبًا طاهرًا عامرًا بحب الله، ويكون صاحبه من أفضل الناس.

فقد أخرج ابن ماجه بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: **" قيل: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب[1] صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ ولا حسد".**

فإذا صام القلب عن هذا كله فإنه يصبح قلبًا طاهرًا عامرًا بحب الله، قلبًا فيه نور وهاج لا تبقى معه ظلمة فتراه يُزْهِرُ كالمصباح، ويضيء كالشمس، ويلمع كالفجر.

١ـ مخموم القلب: طاهر القلب نظيفه، كما جاء في الحديث.

- من أجل هذا ينبغي على الإنسان أن يهتم بباطنه أكثر من اهتمامه بظاهره؛ لأن الله ﷻ لا ينظر إلى الظاهر إنما محل نظر الرب إلى القلب[1] ***كما قال النبي ﷺ في "صحيح مسلم":*** **" إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ".**

وكان النبي ﷺ يقول كما في "مسند الإمام أحمد": **" التقوى ها هنا ".** ويشير إلى صدره.

فإذا صلح القلب واستسلم صلحت الجوارح واستقامت.

ولقد بيَّن النبي ﷺ أن الجوارح تصلح بصلاح القلب، لأن أصل الاستسلام هو خضوع القلب وانكساره بكليته لله تعالى: قولًا وعملًا، فإذا حصل هذا الخضوع القلبي المقترن بمحبة وتعظيم لله تعالى انقادت الجوارح تبعًا لذلك ولا بد.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب ".**

ومن هنا كان الاهتمام بالقلب أمرًا حتميًا، وأنه ينبغي أن يصوم عمَّا حرَّم الله تعالى؛ لأن بصلاحه يكون صلاح الجوارح واستقامتها.

وقفة: هل تعلم أخي الحبيب كما أن صيام القلب عن المواد الفاسدة سبيل لصلاح الجسد، كما مر بنا؟ فكذلك صيام الجسد عن الطعام والشراب سبيل لصلاح القلب، ***فقد قال الحبيب النبي ﷺ:*** **" ألا أخبركم بما يذهب وحر الصدر[2] قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال: صوم ثلاثة أيام من كل شهر".**

ويقول إبراهيم الخواص-رحمه الله-: " دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتَّضرُّع عند السحر، ومجالسة الصالحين ".

وكذلك صيام النفس عن الشهوات سبيل لصلاح القلب.

يقول أبو سليمان الداراني-رحمه الله-: " إن جاعت النفس وعطشت، صفا القلب ورقَّ، وإذا شبعت ورويت عمِيَ ".

١ـ وذُكر ذلك مفصلًا في الوصية السابعة.
٢ـ وحر الصدر: أي حقده وحسده.

بشرى لمن صام قلبه عن الأمراض المهلكة:

أخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **" كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته[1] من وضوئه، وقد تعلَّق نعليه في يديه الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ: مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ؛ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما –، فقال: إني لاحيت أبي[2] فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله ﷻ حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليال، وكدت أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرارٍ: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة؛ فطلعتَ أنت الثلاث مرارٍ، فأردتُ أن آوي إليك لأنظر ما عملك فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق ".**

فهيا أخي الحبيب... طَهِّر قلبك من الغل والبغي والحسد؛ لتسعد في الدنيا والآخرة، **وردِّد كما كان أسلافك يرددون:** ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)

مناجاة: اللهم إن في قلوبنا تفرقًا وشعثًا لا يلمّه إلا الإقبال عليك، وفى قلوبنا وحشة لا يزيلها إلا الأنس بك في الخلوات، وفى قلوبنا حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفتك، وصدق معاملتك، وفى قلوبنا قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليك، والفرارُ منك إليك، وفى قلوبنا نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمرك ونهيك وقضائك، والصبر على ذلك إلى وقت لقائك، وفى قلوبنا فاقة لا يسدها إلا محبتك والإنابة إليك، ودوام ذكرك، وصدق الإخلاص لك.

فاللهم حبِّب إلينا الإيمان؛ وزيِّنه في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان حتى نلقاك بقلوب سليمة منيبة.

١ـ تنطف لحيته: يتساقط منها الماء.
٢ـ لاحيت أبي: أي نازعته.

الوصية الرابعة: اجتهد في رمضان بقدر ما تستطيع:

النفوس البشرية ضعيفة، فالفتور يدب فيها، والشيطان يغويها، والهوى يدنيها، والدنيا تطغيها. ومن رحمة الله بنا أنه سبحانه يرسل إلينا نفحات ورحمات في مواسم للخيرات، ما يجدد نشاط هذه النفوس ويقوي عزمها، ويشحذ هممها، فتنتصر على شيطانها، وتخالف هواها، وتزهد في دنياها، فتحرز التفوق والنبوغ، وفي رمضان تفوح روائح الإيمان، وتستنشق عبير الجنان، وفيه تعلو الهمم، وتتسابق النفوس إلى طاعة الرحمن، ويعلو فيها الإيمان، والمؤمن في هذه المواسم تجده حيي القلب، كثير الذكر والفكر، يستشعر حلاوة الإيمان في قلبه، ويجد قوة في جسده.

فإدراك رمضان من أفضل وأجلّ النعم، فكم غيب الموت من صاحب، ووارى من حبيب، وكم اكتظت الأَسِرة بالمرضى الذين تنفطر قلوبهم وأكبادهم، ويبكون دمًا بدلًا من الدموع لأنهم عاجزون عن الصيام والقيام، فهم يتمنوا أن يصوموا حتى ولو يومًا واحدًا من أيام رمضان، أو يقوموا ليلة من لياليه، لكن حيل بينهم وبين ما يشتهون، وهناك من أعطاه الله الصحة والفراغ ولكنه يضيع جلّ الأوقات وأنفس الساعات فيما لا يعود عليه إلا بالحسرة يوم القيامة.

وصدق القائل حيث قال:

اغتنم في الفراغ فضلَ ركوعٍ فعسى أنْ يكونَ موتُك بغتة
كم صحيحٍ رأيتُ مِن غير سُقمٍ ذهبتْ نفسُه الصحيحةُ فلتة

وكان النبي ﷺ يوصي أن يغتنم الإنسان فرصة الحياة ليتزود من الأعمال الصالحة.

فقد أخرج الحاكم من حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لرجلٍ وهو يَعِظُه: **" اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هِرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَرَاغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحَياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ ".(صحيح الترغيب: ٣٣٥٥) (صحيح الجامع:١٠٧٧)**

قال أبو العتاهية:

تَفَكَّر قَبلَ أَن تَنـدَم فَإِنَّـكَ مَـيِّتٌ فَاعـلَم
وَلا تَـغتَرَّ بِالدُنيـــا فَـإِنَّ صَحيحَها يَسقَم
وَإِنَّ جَديـدَها يَبلى وَإِنَّ شَبـــابَهـا يَهـرَم
وَما لِلمَـرءِ إِلّا مـا نَوى في الخَيرِ أَو قَدَّم

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: " يا عجبا كيف أنس بالدنيا مفارقها، وأمن النار واردها، كيف يغفل من لا يغفل عنه، كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يلهو من يقوده عمره إلى أجله، وحياته إلى موته ".

فالكل سيموت إلا ذي العزة والجبروت، وسنقف جميعًا بين يدي الله تعالى وسيسألنا عما قدمنا في هذه الحياة الدنيا، سنسأل عن الصغير والكبير، والنقير والقطمير.

وقد أخرج الترمذي من حديث عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **" لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ ".**

وكان السلف أحرص الناس على اغتنام الوقت، والاجتهاد في العبادة، ويتأسفون على كل لحظة ذهبت من غير طاعة.

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: **" ما ندمتُ على شيءٍ كندَمِي على يومٍ غربَتْ شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي ".**

ومر بنا أثر إبراهيم بن أدهم عندما دخل على بعض إخوانه يومًا وهو في سياق الموت، فجعل هذا الرجل يتنفس ويتأسف، فقال له إبراهيم بن أدهم: " على ماذا تتنفس وتتأسف؟ فقال:" ما تأسفي على البقاء في الدنيا، ولكن تأسفي على ليلة نمتها، وعلى يوم أفطرته، وعلى ساعة غفلت فيها عن ذكر الله ".

فليحرص كل منا على كل لحظة من لحظات حياته، ولا ينفقها إلا في طاعة الله، حتى لا يندم عليها يوم القيامة.

فقد أخرج البيهقي بسند فيه مقال عن عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رسول الله ﷺ: **" مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ على ابنِ آدمَ لم يذكرِ اللهَ فيها إلا تحسَّرَ عليها يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".**

وإن كان الحديث ضعيفًا إلا أنه يشهد له الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ما قعد قَومٌ مَقعَدًا لم يُذكَرِ اللهُ فيه، ولم يُصَلُّوا على النَّبيِّ ﷺ، إلَّا كان عليهم حَسْرةً يومَ القيامةِ، وإن دَخَلوا الجنَّةَ للثَّوابِ ".** (صحيح الترغيب: ١٥١٣)

يا ذا الذي ما كفاهُ الذنبُ في رَجَبٍ ... حتى عَصَى ربَّهُ في شهر شعبانِ

لقد أظَلَّكَ شهرُ الصَّومِ بَعْدَهُمَا ... فلا تُصَيِّرْهُ أيْضًا شَهْرَ عِصْيانِ

واتْلُ الْقُرآنَ وَسَبِّحْ فيه مجتَهِدًا ... فَإنه شهرُ تسبيحٍ وقُرْآنِ

كمْ كنتَ تعرِف مِمَّنْ صَام في سَلَفٍ ... مِنْ بين أهلٍ وجِيرانٍ وإخْوَانِ

أفْنَاهُمُ الموتُ واسْتَبْقَاكَ بَعْدهمُ ... حَيًّا فَمَا أقْرَبَ القاصِي من الدانِي

(لطائف المعارف لابن رجب ص: ١٥٥)

فعندما يموت الإنسان ويدخل القبر، لا يستطيع أن يزيد في حسناته حسنة واحدة، فهو لا إلى دنياه عائد ولا في حسناته زائد، وهنا يتمنى الإنسان أن لو عاد إلى الدنيا مرة أخرى ليستكثر من الزاد لهذا اليوم- يوم المعاد-.

وقد جاء في المعجم الأوسط للطبراني ومصنف ابن أبي شيبة بسند صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرٍ دُفِنَ حَدِيثًا فَقَالَ:" رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ مِمَّا تَحْقِرُونَ وَتَنْفِلُونَ يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ ". (صحيح الجامع: ٣٥١٨)

فعندَما يَموتُ الإنسانُ يُدرِكُ قِيمةَ الأشياءِ على حقيقتِها، فيُدرِكُ أنَّ الأعمالَ الصالحةَ التي تَزيدُ ثوابَه خيرٌ له من مَتاعِ الدُّنيا كُلِّه.

فاجتهد أخي الحبيب في رمضان وفي غيره سائر شهور العام بقدر ما تستطيع فأنت في أمنية كثير من الأموات، فعليك بالعزم الصادق، والهمة العالية على تعمير رمضان بكل ما تستطيع من عمل صالح.

قال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (سورة محمد: ٢١)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ (التوبة: ٤٦)

فعليك أخي الحبيب أن تجتهد في هذا الشهر المبارك، والمكارم منوطة بالمكاره، والخير لا ينال إلا بحظ من المشقة، ولا يعبر إليه إلا على جسر من التعب.

وقد قيل للربيع بن خثيم- وكان مجتهدًا في العبادة- لو أرحت نفسك؟ فقال: راحتها أريد. (يقصد أن ما يفعله في الدنيا من طاعة وعبادة سيكون سببًا في راحته وسعادته يوم القيامة- يوم الحسرة والندامة-)

وها هو دينار العيَّار-رحمه الله- كان مسرفًا على نفسه، وكان له أم تعظه فلا يتعظ، فمر في يوم من الأيام بمقبرة وقد خرجت العظام من المقبرة، فتذكر مصيره، وتذكر نهايته، وتذكر أنه على الله قادم، فأخذ عظْمًا نخرًا في يده ففتته، وقال:" ويحك يا نفس، كأني بك غدًا قد صار عظمك رفاتًا، وجسمك ترابًا، وما زلت مكبَّة على المعاصي واللذائذ والشهوات"، ثم ندم وعزم على التوبة. ورفع رأسه للسماء قائلًا: "إلهي ألقيت إليك مقاليد أمري، فاقبلني واسترني يا أرحم الراحمين"، ثم رجع إلى أمه متغير اللون، منكسر القلب، فكان إذا جنَّه الليل أخذ في القيام والبكاء، وأخذ في النحيب وهو يقول:" يا دينار ألك قوة على النار؟ كيف تعرضت لغضب الجبار؟"، فجعل يقوم الليل ويصوم النهار، فرفقت به أمه، فقالت:" يا بني ارفق بنفسك قليلًا"، فقال:" يا أماه! دعيني أتعب قليلًا لعلي أستريح طويلًا، يا أماه إن لي موقفًا بين يديْ الجليل، ولا أدري إلى ظل ظليل، أم إلى شر مقيل؟ قالت: "يا بني أكثرت من تعب نفسك؟"، قال:" يا أماه بل راحتها أريد، بل راحتها أريد ".

وصدق القائل حيث قال: من أراد الراحة ترك الراحة.

وسُئِل الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-: متى الرَّاحةُ يا إمام؟ فقال:" عند أوّل قَدَمٍ تضعُها في الجنّة ".
(المقصد الأرشد:٢/٣٩٨)

ونيل الدُّر من قاع البحر لا يأتي إلا بعد معاناة الشدائد.

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبَدَ الدهر بين الحفرْ.

يقول المتنبي-رحمه الله-:

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ وَتَأتي عَلى قَــدرِ الكِرامِ المَكـارِمُ
وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

فرمضان مضمار سباق شعاره: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾
(آل عمران:١٣٣)

فليكن شعارك في رمضان:" لا يسبقني إلى الله أحد ".

فليكن شعارك في رمضان:" ليرين الله ما أفعل ".

فليكن شعارك في رمضان: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (طه:٨٤)

الوصية الخامسة: إن تعثرت في رمضان فلا تتوقف:

فإذا أصبت بالكسل أو الفتور فلا تستسلم، فقم من رقدتك وانفض عنك غبار الغفلة وواصل السير، فالأمر خطير، **وقد قال رب العالمين في كتابه الكريم:** ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (المدثر:٣٧) فالآية لم تذكر" واقفًا "، بل ذكرت تقدمًا وتأخرًا، وبهذا يُعلم أن من لم يكن في تقدُم فهو في تأخر.

يقول الحسن البصري-رحمه الله-عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان:٦٢). من عجز بالليل كان له في أول النهار مستعتب[1]، ومن عجز عن النهار كان له في الليل مستعتب ".

١ـ مستعتب: أي فرصة للاعتذار والاستغفار.

الوصية السادسة: احرص على أسباب المغفرة في رمضان:

وأسباب المغفرة في رمضان كثيرة منها:

١- التوبة: كما مر بنا في الوصية السابقة.

٢- صيام رمضان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ صام رَمَضَانَ إِيمَانًا [١] وَاحْتِسَابًا[٢] غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".**

والغفران مشروط بشرطين: الإيمان والاحتساب، وهما مدار الفرق بين العادة والعبادة فبدونهما يكون الصوم إرثا وتقليدًا، قلما يدفع صاحبه إلى الخير وينهاه عن الشر.

(الصوم في ضوء الكتاب والسنة للأشقر ص: ١٤)

وفي مسند الإمام أحمد عن معاذ بن جبل ﷺ قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، يُصَلِّي الصلوات الْخَمْسَ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ، غُفِرَ لَهُ "، قُلْتُ: أَفَلَا أُبَشِّرُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " دَعْهُمْ يَعْمَلُوا ".**

(الصحيحة: ١٣١٥)

٣- قيام رمضان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".**

٤ - قيام ليلة القدر:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ قَامَ ليلة القدر إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ".**

فأسباب المغفرة متوفرة في رمضان دون غيره من الشهور؛ فأبواب الجنة مفتحة، وأبواب النار مغلقة، والشياطين مصفدة، من قامه لله إيمانًا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صامه إيمانًا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من قامها لله إيمانًا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ولله فيه عتقاء من النار وذلك في كل ليلة، فهل يتصور بعد ذلك كله أن يخرج الإنسان من رمضان صفر اليدين، ولم يغفر له، والله إن كان ذلك كذلك فقد رغم أنفه.

١- إيمانا: أي صام رمضان تصديقا بما جاء في ذلك من نصوص الكتاب والسنة في فرضيته وفضله.

٢- واحتسابا: أي من صام رمضان طلبا لثواب الله تعالى ورغبة في الأجر، واحتسابه على الله، مخلصا لله في ثوابه (انظر شرح النووي على مسلم: ٢٨٦/٥) وقال أبو حاتم بن حبان: " إيمانا " يريد إيمانا بفرضه، و"احتسابا " يريد به مخلصا فيه وقال البغوي " احتسابا " أي طلبا لوجه الله وثوابه.

وقال الخطابي – رحمه الله – وقوله "إيمانًا واحتسابًا " أي نية وعزيمة، وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه، طيبة به نفسه غير كاره له، ولا مستثقل لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب. اهـ

الوصية السابعة: اهتم بقلبك أكثر من اهتمامك بجسدك:

يتعهد الإنسان منا جسده حرصًا على إبقاءه، فيأخذ بالأسباب لحياته، فتجده يتناول الطعام النافع في أوقات متقاربة حفاظًا على حياة الجسد، وإن أكل طعامًا مسمومًا عن طريق الخطأ، أسرع في التخلص منه، حفاظا على حياة الجسد، وإذا مِرض أسرع إلى الطبيب وأخذ الدواء حفاظًا على حياة الجسد، وفي الشتاء القارص يلبس الملابس الثقيلة حفاظًا على حياة الجسد، وفي الصيف يلبس الخفيف من الملابس حفاظًا على هذا الجسد، فهو يحمي جسده من كل آفة ولا يعرضه لأي خطر.

وهذا كله لا شيء فيه بل يكون فعله واجبًا، لكن على الإنسان كما يهتم بحياة جسده أن يهتم بحياة قلبه، بل وحياة القلب والاهتمام به أولى بالاهتمام من حياة الجسد.

فإذا كانت حياة الجسد تؤهله لمعيشة طيبة غير منغصة بالمرض في الدنيا، فحياة القلب تؤهله لمعيشة طيبة طاهرة في الدنيا، وسعادة غير متناهية في الآخرة. فإن مدار سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة على سلامة وصلاح القلب.

وكذلك موت الجسد يقطع الإنسان عن الدنيا، وموت القلب يقطع عن الدنيا والآخرة، وتبقى آلامه أبد الآباد.

قال بعض الصالحين: " عجبا لهؤلاء الناس يبكون على من مات جسده، ولا يبكون على من مات قلبه؛ وهو أشد ".

وهذا ما نراه جليًا واضحًا فإن كثيرًا ممن مات قلوبهم بالمعاصي والذنوب، وترك الطاعات والفرائض، لا يبكي عليهم أحدٌ، ولكن إذا ماتت الأجساد ارتفعت الأصوات وتعالت بالبكاء.

والإسلام لم يهتم بشيء في الإنسان بقدر ما اهتم بقلبه، فهذه المضغة هي بيت الإيمان وموقع الصدق ومحل الإخلاص، والقلب واللسان أعظم ما في الإنسان وأهم ما فيه، وكل أعمال الإيمان من خوف ورجاء، وتوكل وإنابة، وإخبات ويقين، وصدق ومحبة إنما محلها القلب.

وقبول الأعمال وتفاضلها إنما هو متوقف على ما في القلب من صدق وإخلاص ومعاني الإيمان، فمتى فرغ القلب منها فعند ذلك، لا يفيد عمل، ولا تقبل طاعة، ولا ينتفع عبد بعبادة.

ومن هنا يأتي أهمية الحديث عن القلب، فكل إنسان منا عليه أن يسعى لصلاح قلبه لأنه أصل كل خير.

يقول ابن مفلح -رحمه الله-: " صلاح القلوب رأس كل خير، وفسادها رأس كل شر.

ويقول العز بن عبد السلام-رحمه الله-: " صلاح الأجساد موقوف على صلاح القلوب، وفساد الأجساد موقوف على فساد القلوب.

ولذلك قال النبي ﷺ:"... **ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ** ". (رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ)

قال الإمام النووي–رحمه الله–:" في هذا الحديث تأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد" (شرح مسلم للنووي: ٣٣/٦)

وقال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–:" سمي القلب قلبًا لتقلبه في الأمور، أو لأنه خالص ما في البدن، وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في القلب مقلوبًا،... وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير، تصلح الرعية، وبفساده تفسد. وفي هذا الحديث تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه ". اهـ (فتح الباري: ١٥٦/١).

وكان أبو هريرة ﷺ ***يقول:*** " **القلب مَلِكٌ والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده**".

ففي الحديث السابق ذَكَر النبيُّ ﷺ كَلمةً جامعةً لصَلاحِ حرَكاتِ بَني آدَمَ وفَسادِها، وهي أنَّ أساسَ صلاحِ الجَسدِ كُلِّه وأساسَ فسادِه مبنيٌّ على صلاحِ القَلْبِ وفَسادِه؛ فإذا صلَحَ القلبُ صلَحَت إرادتُه، وصلَحَت جَميعُ الجوارحِ، فلم تَنبعِثْ إلَّا إلى طاعةِ اللهِ، واجتنابِ سَخَطِه، فقَنِعَتْ بالحلالِ عن الحرامِ، وإذا فسَد القلبُ فسَدَت إرادتُه، ففسَدَتِ الجوارحُ كلُّها، وانبعثَتْ في مَعاصي اللهِ عزَّ وجلَّ، وما فيه سَخَطُه، ولم تَقنَعْ بالحلالِ، بلْ أسرَعَتْ في الحرامِ بحسَبِ هَوى القلبِ ومَيلِه عنِ الحقِّ. (الدرر السنية)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–:" القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة، سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب، ولهذا قال النبي ﷺ: ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهي القَلْبُ ".

ويقول ابن رجب–رحمه الله– في" كتابه جامع العلوم والحكم":"... الأصل في التقوى والفجور هو القلب، فإذا بر القلب واتقى، برت الجوارح، وإذا فجر القلب فجرت الجوارح، كما قال النبي ﷺ:" التقوى ها هنا.. وأشار إلى صدره ".

والقلب هو محل نظرِ الرب سبحانه، كما قال ﷺ:" **إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**". (رواه مسلم).

وفي سورة الحج قال سبحانه: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج:٣٧).

قال د. محمد الخضيري: " ورد ذكر القلب في القرآن أكثر من ١٣٠ مرة وأضيف إليه أكثر من ٣٦ عملًا ووصفًا، وكل ذلك دال على عظيم محله، وأنه ملك الجوارح، ومع ذلك نرى إهمال العباد لقلوبهم؛ فلا يزكونها، ولا يتعلمون حق الله فيها، وينشغلون عنها بأعمال الجوارح وهي الأصل ". اهـ

ويوم القيامة لا يدخل الجنة إلا صاحب القلب المنيب، ولا ينجو إلا صاحب القلب السليم، قال جل في علاه: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣٣) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٤) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ (ق:٣٣-٣١)

وقال على لسان خليله إبراهيم: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء:٨٧-٨٩)

والقلب السليم هو القلب الذي سلم توحيده لله من كل شرك، وسلم من كل شبهة تعارض الأمر، وكل شهوة تخالف النهي، وكل هوى يخالف مراد الله تعالى. ولهذا يسعى الشيطان لإفساد هذا القلب، وتفريغه مما ينفعه ويسره، وشغله بما يؤذيه ويضره، ويبذل وسعه لإعطابه وإبعاده عن السلامة التي لا ينجو إلا بها؛ ولهذا وجب صيانته منه ومن نزغاته، والانتباه لسلامة القلب ونقاوته لتتم له السلامة يوم الدين.

فصاحب القلب السليم هو الذي تكتب له النجاة عند العرض على رب العالمين يوم الدين، والقلب السليم هو الذي سَلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبودية ما سوى الله، وسلم من تحكيم غير رسوله ﷺ، فخلصت عبوديته لله تعالى إرادة، ومحبة، وتوكلًا، وإنابة، وخشية، ورجاء، وخلص عمله لله، فإذا أحب أحب في الله، وإذا أبغض أبغض في الله، وأذا أعطى أعطى لله، وإذا منع منع لله.

واستقامة القلب بشيئين: أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدَّم عنده على جميع المحابِّ، فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره، سبق حُبُّ الله تعالى حُبَّ ما سواه. الأمر الثاني الذي يستقيم به القلب: تعظيم الأمر والنهي وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي. (**الوابل الصيب باختصار**)

يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في" كتابه الداء والدواء ص:١٥١": " فالقلب السليم هو الذي يسلم من الشرك، والحقد، والحسد، والشح، والكبر، وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطع عن الله. ولا تتم له سلامته مطلقا حتى يسلم من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض الذكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص. وهذه الخمسة حجب عن الله، وتحت كل واحدة منها أنواع كثيرة، تتضمن أفرادا لا تنحصر.

ثم قال ابن القيم-رحمه الله-: " وَقَدْ أَجْمَعَ السَّائِرُونَ إِلَى اللَّهِ أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تُعْطَى مُنَاهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَوْلَاهَا، وَلَا تَصِلُ إِلَى مَوْلَاهَا حَتَّى تَكُونَ صَحِيحَةً سَلِيمَةً، وَلَا تَكُونُ صَحِيحَةً سَلِيمَةً حَتَّى يَنْقَلِبَ دَاؤُهَا، فَيَصِيرَ نَفْسَ دَوَائِهَا، وَلَا يَصِحُّ لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا، فَهَوَاهَا مَرَضُهَا، وَشِفَاؤُهَا مُخَالَفَتُهُ، فَإِنِ اسْتَحْكَمَ الْمَرَضُ قَتَلَ أَوْ كَادَ. وَكَمَا أَنَّ مَنْ نَهَى نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى كَانَتِ الْجَنَّةُ مَأْوَاهُ، فَكَذَا يَكُونُ قَلْبُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةٍ، لَا يُشْبِهُ نَعِيمُ أَهْلِهَا نَعِيمًا الْبَتَّةَ، بَلِ التَّفَاوُتُ الَّذِي بَيْنَ النَّعِيمَيْنِ، كَالتَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُصَدِّقُ بِهِ إِلَّا مَنْ بَاشَرَ قَلْبُهُ هَذَا وَهَذَا.

وَلَا تَحْسَبُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (سُورَةُ الإِنْفِطَارِ:١٣،١٤) مَقْصُورٌ عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَجَحِيمِهَا فَقَطْ بَلْ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثَةِ كَذَلِكَ - أَعْنِي دَارَ الدُّنْيَا، وَدَارَ الْبَرْزَخِ، وَدَارَ الْقَرَارِ - فَهَؤُلَاءِ فِي نَعِيمٍ، وَهَؤُلَاءِ فِي جَحِيمٍ، وَهَلِ النَّعِيمُ إِلَّا نَعِيمُ الْقَلْبِ؟ وَهَلِ الْعَذَابُ إِلَّا عَذَابُ الْقَلْبِ؟ وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَإِعْرَاضِهِ عَنِ اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَتَعَلُّقِهِ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَانْقِطَاعِهِ عَنِ اللَّهِ، بِكُلِّ وَادٍ مِنْهُ شُعْبَةٌ؟ وَكُلُّ شَيْءٍ تَعَلَّقَ بِهِ وَأَحَبَّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ.

فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ عُذِّبَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَهُوَ يُعَذَّبُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ حَتَّى يَحْصُلَ، فَإِذَا حَصَلَ عُذِّبَ بِهِ حَالَ حُصُولِهِ بِالْخَوْفِ مِنْ سَلْبِهِ وَفَوَاتِهِ، وَالتَّنْغِيصِ وَالتَّنْكِيدِ عَلَيْهِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الْمُعَارَضَاتِ، فَإِذَا سُلِبَهُ اشْتَدَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

وَأَمَّا فِي الْبَرْزَخِ: فَعَذَابٌ يُقَارِنُهُ أَلَمُ الْفِرَاقِ الَّذِي لَا يَرْجُو عَوْدَةً وَأَلَمُ فَوَاتِ مَا فَاتَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ بِاشْتِغَالِهِ بِضِدِّهِ، وَأَلَمُ الْحِجَابِ عَنِ اللَّهِ، وَأَلَمُ الْحَسْرَةِ الَّتِي تَقْطَعُ الْأَكْبَادَ، فَالْهَمُّ وَالْغَمُّ وَالْحُزْنُ تَعْمَلُ فِي نُفُوسِهِمْ نَظِيرَ مَا يَعْمَلُ الْهَوَامُّ وَالدِّيدَانُ فِي أَبْدَانِهِمْ، بَلْ عَمَلُهَا فِي النُّفُوسِ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، حَتَّى يَرُدَّهَا اللَّهُ إِلَى أَجْسَادِهَا، فَحِينَئِذٍ يَنْتَقِلُ الْعَذَابُ إِلَى نَوْعٍ هُوَ أَدْهَى وَأَمَرُّ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ نَعِيمِ مَنْ يَرْقُصُ قَلْبُهُ طَرَبًا وَفَرَحًا وَأُنْسًا بِرَبِّهِ، وَاشْتِيَاقًا إِلَيْهِ، وَارْتِيَاحًا بِحُبِّهِ، وَطُمَأْنِينَةً بِذِكْرِهِ؟ حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ فِي حَالِ نَزْعِهِ: وَاطَرَبَاهُ. وَيَقُولُ الْآخَرُ: مَسَاكِينُ أَهْلُ الدُّنْيَا، خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا لَذِيذَ الْعَيْشِ فِيهَا، وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا. وَيَقُولُ الْآخَرُ: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ. **وَيَقُولُ الْآخَرُ:** إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ.

ويقول ابنُ القيم-رحمه الله- أيضًا في" مفتاح دار السعادة ص:٥٤": " الْقلبُ السَّلِيمُ الَّذِي ينجو من عَذَاب الله هُوَ الْقلبُ الَّذِي قد سَلِمَ لرَبه وَسلم لأمره وَلم تبْق فِيهِ مُنَازعَة لأمره وَلَا مُعَارضَة لخبره فَهُوَ سليم مِمَّا سوى الله وَأمره لَا يُرِيد الا الله وَلَا يفعل إِلَّا مَا أمره الله فَالله وَحده غَايَته وأمره وشرعه وسيلته وطريقته لَا تعترضه شُبْهَة تحول بَينه وَبَين تَصْدِيق خَبره لَكِن لَا تمر عَلَيْهِ إِلَّا وَهِي مجتازة تعلم أنه لَا قَرَار لَهَا فِيهِ وَلَا شَهْوَة تحول بَينه وَبَين مُتَابعَة رِضَاهُ وَمَتى كَانَ الْقلب كَذَلِك فَهُوَ سليم من الشّرك وسليم من الْبدع

وسليم من الغي وسليم من الْبَاطِل وكل الأقوال الَّتِي قيلت فِي تَفْسِيره فَذَلِك يتضمنها وَحَقِيقَته أنه الْقلب الَّذِي قد سلم لعبودية ربه حَيَاء وخوفا وَطَمَعًا ورجاء ففني بحبه عَن حب مَا سواهُ وبخوفه عَن خوف مَا سواهُ وبرجائه عَن رَجَاء مَا سواهُ وَسلم لأمره وَلِرَسُولِهِ تَصْدِيقًا وَطَاعَة كَمَا تقدم واستسلم لقضائه وَقدره فَلم يتهمه وَلم ينازعه وَلم يتسخط لأقداره فَأسْلَمَ لرَبه انقيادًا وخضوعًا وذُلًا وعبودية وَسَلِمَ جَمِيع أحواله وأقواله وإعماله وأذواقه ومواجيده ظَاهرًا وَبَاطنًا مِن مشكاة رَسُوله وَعرض مَا جَاءَ من سواهَا عَلَيْهَا فَمَا وافقها قبله وَمَا خالفها رده وَمَا لم يتَبَيَّن لَهُ فِيهِ مُوَافقَة وَلَا مُخَالفَة وقف أمره وأرجأه إلى أن يتَبَيَّن لَهُ وَسَالم أولياءه وَحزبه المفلحين الذابين عَن دينه وَسنة نبيه القائمين بهَا وعادى أعداءه الْمُخَالفين لكتابه وَسنة نبيه الخارجين عَنْهُمَا الداعين إلى خلافهما ". اهـ

وسلامة القلب من أهم صفات عباد الرحمن، الذين مدحهم الله في كتابه قائلا: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحشر: ٩، ١٠).

وأخرج الإمام أحمدُ من حديث أنس بن مالك ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ-رضي الله عنهما- فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ قَالَ فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ.

فمن صلح قلبه فقد وُلد من جديد:

فمن المعروف أن القلوب خلقت لمحبة الله وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لكن قد تنتكس هذه القلوب فتغرق في وحل الشهوات أو في ظلال الشبهات، فيتمكن الشيطان منها ويلعب بها كما يلعب الصبي بالكرة، فإذا أفاق الإنسان وتحرر من كيد الشيطان، ورجع إلى الرحمن، وامتلأ قلبه إجلالًا له، ومحبة، وتعظيمًا، وحياءً، فقد ولد هذا القلب من جديد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " الولادة نوعان: أحدهما: هذه المعروفة. والثانية: ولادة القلب والروح وخروجهما من مشيمة النفس وظلمة الطبع، وهذه الولادة لما كانت بسبب الرسول ﷺ كان كالأب للمؤمنين ". اهـ

ومما سبق يتبين لنا أن حياة القلوب وإضاءتها مادة كل خير، وموت القلب وظلمته مادة كل شر، ومن هنا كان لابد من الاهتمام بالقلب ورعايته والمحافظة على صحته وسلامته وحمايته من الآفات التي قد تفتك به.

فعلى كل إنسان آمن بالرحمن وخاف سوء الحساب أن يفتش عن أحوال قلبه، ويسأل نفسه: أين قلبي؟ أهو مع الرحمن؟ أم مع الشيطان؟ أهو يجول في ملكوت الله ويسبح تحت العرش؟ أم أنه منغمسٌ في الشهوات، وهمه ملئ الكرش والنوم على الفرش؟ أهو فوق الثريا؟ أم تحت الثرى؟

وها هو عبد الله بن مسعود ﷺ يقول لرجل: **داوِ قلبك؛ فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم ".**

أي مراده منهم ومطلوبه منهم صلاح القلب.

فلنعلم جميعًا أن السعادة والشقاء، والفوز والخسار، والنعيم والجحيم، نتيجة فساد أو صلاح هذه القلوب.

وقد أخرج الإمام أحمد والبخاري في" الأدب المفرد" عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عبدٍ حتَّى يَستَقِيمَ قلبُه...".** **(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٥٥٤)**

فعلينا أن نهتم بصلاح القلوب فهو من الأهمية بمكان، وبه السعادة في الدنيا، والجنة في الآخرة.

الوصية الثامنة: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، فالجزاء من جنس العمل:

١- فمن ترك الحرام في الدنيا طاعة لله؛ عوضه الله بأفضل وألذ منه في الآخرة.

يقول ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه حادي الأرواح ص:١٢٥:" وأكمل الناس لذة في الآخرة أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام، فكما أن مَن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، ومَن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومَن أكل في صحاف من الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة، ***كما قال النبي*** ﷺ:" **إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة** ". فمَن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حُرِمها هناك، كما نعى سبحانه على مَن أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها، ولهذا كان الصحابة ومَن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف، ***وذكر الإمام أحمد عن جابر*** ﷺ:" **أنه رآه عمر ﷺ ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم، فقال: ما هذا؟! قال: لحم اشتريته لأهلي بدرهم، فقال: أو كلما اشتهى أحدكم شيئًا اشتراه! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾** (الأحقاف:٢٠) فمَن ترك اللذة المحرمة لله استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومَن استوفاها هنا حُرِمها هناك أو نقص كمالها، فلا يجعل الله لذة مَن وقع في معاصيه ومحارمه كلذة مَن ترك شهوته لله أبدًا، والله أعلم ". اهـ بتصرف

وهذا شأن من ترك شهوته من الحرام، عوضه الله خيرًا منها في الآخرة، فما بالك بمن ترك شهوته في الحلال؟ فترك الطعام والشراب والزوجة من أجل مرضاة الله تعالى.

يقول ابن رجب-رحمه الله- في" لطائف المعارف:١٤٧/١":" فمن صام اليوم عن شهواته، أفطر عليها بعد مماته، ومن تعجل ما حرم عليه قبل وفاته، عوقب بحرمانه في الآخرة وفواته، شاهد ذلك في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ (الأحقاف:٢٠)

٢- جزاء من ترك الشراب وأعطش نفسه لله تعالى:

من ترك الماء وصام وأعطش نفسه لله؛ كان جزاؤه الري والسقيا يوم العطش الأكبر:

فقد أخرج البزار عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: **" أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى ﷺ على سرية في البحر، فبينما هم كذلك، قد رفعوا الشِّراع[1] في ليلة مظلمة، إذا هاتف فوقهم يهتف يا أهل السفينة! قِفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه، فقال أبو موسى: أخبرنا إن كنت مخبرًا، قال: إن الله تعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صائف؛ سقاه الله يوم العطش ".**

- *وفي رواية:*" إن الله قضى على نفسه أن مَن عطش نفسه لله في يوم حار، كان حقًا على الله أن يُرويه يوم القيامة " فكان أبو موسى يتوخَّى اليوم الشديد الحر الذي يكاد الإنسان ينسلخ فيه حرًا فيصومه ". (ضعفه بعض اهل العلم وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب":٤١٢/١)

---

١ ـ الشِّراعُ: بكسر الشين المعجمة، هو قلع السفينة.

نقل ابن رجب-رحمه الله-عن بعض السلف أنه قال: " بلغنا أنه يوضع للصُّوَّام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب، فيقولون: يا رب نحن نُحَاسَب وهم يأكلون، فيقال: إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم ".

وقفة: غشي على مسروق-رحمه الله- في يوم صائف وهو صائم، فقالت ابنته: أفطر، قال: ما أردتِ بي؟ قالت: الرفق. قال: يا بنية! إنما أطلب الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ".

٣- من صام وأعطش نفسه لله؛ كان جزاؤه أن يدخل من باب الريان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد عن النبي ﷺ قال: " **إن في الجنة بابًا يقال له الرَّيان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلِق فلم يدخل منه أحد**". ***زاد الترمذي:*** " **ومَن دخله لم يظمأ أبدًا** ".

وزاد ابن خزيمة: "**فإذا دخل آخرهم أُغلِق، ومَن دخل شرب، ومَن شرب لم يظمأ أبدًا** ".

قال الزين بن المنير-رحمه الله-: " **إنما قال:** " **في الجنة**"، **ولم يقل:** " **للجنة**" ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة ما في الجنة، فيكون أبلغ في التشوق إليه.

وقال الزركشي-رحمه الله-: " الرَّيان فَعْلان كثير الري، نقيض العطش، سمي به لأنه جزاء للصائمين على عطشهم وجوعهم. وليس المراد المقتصر على شهر رمضان، بل ملازمة النوافل من ذلك وكثرتها.

(المرقاة)

وقال ابن حجر-رحمه الله- أيضًا: " وقعت المناسبة فيه بين لفظه ومعناه؛ لأنه مشتق من الري، وهو مناسب لحال الصائمين ". اهـ

٤- جزاء من ترك الطعام لله تعالى وصام:

فمن صام وترك الطعام لله تعالى، جعل الله رائحة فمه التي تغيرت بالصيام أطيب من ريح المسك.

فقد أخرج الإمام مسلم وابن حبان في "صحيحه" واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "..... **ولخُلُوف فم الصائم حين يخلف من الطعام، أطيب عند الله من ريح المسك** ".

- وفي رواية عند الإمام أحمد بلفظ: " **وإن خُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك** ".

قال الحافظ ابن رجب-رحمه الله-: " **خُلُوف الفم**: وهي رائحة ما يتصاعد منه من الأبخرة، لخلو المعدة من الطعام بالصيام، وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدنيا، ولكنها عند الله طيبة، حيث إنها ناشئة عن طاعته وابتغاء مرضاته، كما أن دم الشهيد يجيء يوم القيامة يثغب دمًا، لونه لون الدم وريحه ريح المسك ".

ومعنى طيب ريح خلوف الصائم عند الله ﷻ: أن الصيام لما كان سرًا بين العبد وبين ربه في الدنيا، أظهره الله في الآخرة علانية للخلق؛ ليشتهر بذلك أهل الصيام، ويُعْرَفون بصيامهم بين الناس لإخفائهم صيامهم في الدنيا.

قال أبو حاتم-رحمه الله-: " شعار المؤمنين في القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا، فرقًا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم طيبُ خُلُوفهم أطيب من ريح المسك؛ ليُعْرَفوا من ذلك الجمع بذلك العمل. نسأل الله بركة هذا اليوم ".

قال مكحول-رحمه الله-: " يُروّح على أهل الجنة برائحة، فيقولون: ربنا ما وجدنا ريحًا منذ دخلنا الجنة أطيب من هذا الريح فيقال: هذه رائحة أفواه الصُّوَّام ".

٥- جزاء مَن أطعم مؤمنًا على جوع، أو سقاه على ظمأ، أو كساه على عري:

فمن أطعم مسلمًا على جوع؛ أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مسلمًا على ظمأ؛ سقاه الله من الرحيق المختوم؛ ومن كسا مؤمنًا على عري؛ كساه الله يوم القيامة من خضر الجَنَّة.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**أيما مؤمنٍ أطعم مؤمنًا على جوعٍ؛ أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجَنَّة، وأيما مؤمنٍ سقى مؤمنًا على ظمأ؛ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيَّما مؤمنٍ كسا مؤمنًا على عري؛ كساه الله يوم القيامة من خضر الجَنَّة** ".

قال ابن رجب-رحمه الله-: " فمن جاد على عباد الله، جاد الله عليه بالعطاء والفضل، والجزاء من جنس العمل ".

ومن عامل خلق الله بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه. فكما تدين تدان، وكن كيف شئت فإن الله تعالى لك كما تكون أنت له ولعباده.

٦- جزاء من تصدق وأنفق على الفقراء:

فمن تصدق وأنفق على الفقراء أخلف الله عليه أضعاف ما أنفق. **قال تعالى:** ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ:٣٩)

فكل مَن ينفق شيئًا لله فإن الله تعالى يعوِّضه خيرًا منه، فإن ينابيع خزائنه لا تنضب، وسحائب أرزاقه سحاءُ الليل والنهار، وكلما أنفقت، أنفق الله عليك.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ: " أَنْفِق يا ابن آدم يُنْفَق عليك" – ***وفى رواية:*** " أَنْفِق أُنْفِق عليك ".

فمَن الذي سيُنْفِق عليك؟ إنه الله الكريم العظيم الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، فإذا أنفق عليك أكرم الأكرمين فكيف سيكون العطاء؟ **قال تعالى:** ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة:٢٤٥)

فالله يضاعف لكل مَن أنفق في سبيله، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة **كما قال تعالى:** ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٦١)

٧- جزاء من ترك النوم وقام لله تعالى من الليل:

فمن ترك النوم وقام لله تعالى من الليل، أدخله الله جنة عرضها السموات والأرض، وأعطاه فيها ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٥– ١٩)

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة:١٦،١٧)

جاء في "مستدرك الحاكم" عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " مكتوب في التوراة لقد أعدَّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ولا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، قال: ونحن نقرؤها: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(السجدة: ١٧)

- **ومن ترك النوم وقام لله تعالى من الليل، أعاضه الله أن أدخله الجنة حيث لا نوم فيها، فيتمتع بكل لحظة فيها.**

فقد أخرج الطبراني في "الأوسط" وأبو نعيم في "الحلية" عن جابر ﷺ، وعبد الله بن أبي أوفى–رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال: " النوم أخو الموت، ولا ينام أهل الجَنَّة". (السلسلة الصحيحة:١٠٨٧)

فليس في الجَنَّة نوم؛ لأن النوم يفوت على أهل الجَنَّة بعض هذا النعيم، فجعل الله تعالى أهل الجَنَّة في نعيم دائم لا يفوتهم منه شيء، وفي الحديث إشارة إلى مذمَّة النوم، وعدم الحرص على الأوقات واستغلالها في طاعة رب الأرض والسموات.

٨- جزاء من أطال القيام للّه تعالى في الصلاة:

من أطال القيام لله في الصلاة هون عليه الوقوف في عرصات يوم القيامة، حيث يقف الناس في أرض المحشر: ٥٠,٠٠٠ سنة وهون عليه كذلك الوقوف بين يدي الله تعالى.

يقول ابن القيم-رحمه الله- كما في" كتابه الفوائد": " للعبد بين يدي الله عز وجل موقفان موقف بين يديه سبحانه وتعالى في الصلاة وموقف بين يديه يوم القيامة يوم لقائه فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف ".

قال تعالى ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾

(الإنسان:٢٦،٢٧)

قال ذو النون-رحمه الله- في وصف العُبَّاد: " لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته واستفتح كلام سيده خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين – أي للحساب- فانخلع قلبه، وذهل عقله ".

وقيام الليل يهوّن من طول القيام في عرصات يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر:٩)

قال ابن عباس-رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية: **" من أحب أن يهوِّن الله عليه طول الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل ساجدًا وقائمًا، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ".**

(تفسير ابن جرير الطبري:٢٣/٢٠٠)

وكانت امرأة أبي عمران الجوني تقوم من الليل تصلي حتى تعصب ساقيها بالخرق من طول قنوتها وقيامها، فيقول لها أبو عمران الجوني-رحمه الله-:" دون هذا يا هذه، فتقول: هذا عند طول القيام في الموقف قليل، فيسكت عنها ".

– ***وها هو شاب يدعى دينار:*** كان مسرفًا على نفسه، وكان له أمٌّ تعظه فلا يتَّعظ، فمرَّ في يوم من الأيام على مقبرة كثيرة العظام، قد خرجت العظام من المقبرة، فتذكَّر الموت، وتذكَّر مصيره، وتذكَّر نهايته، وتذكَّر أنه على الله قادم. فأخذ عظمًا نخرًا في يده؛ ففتَّته، ***ثم خاطب نفسه قائلًا:*** " ويحك يا نفس كأني بك غدًا، قد سار عظمك رفاتًا، وجسمك ترابًا، ومازلتِ منكبة على اللذائذ، والمعاصي، والشهوات.

ثم ندم وعزم على التوبة والإنابة والرجوع إلى الله تعالى، فرفع رأسه إلى السماء، قائلًا: اللهم ألقيت إليك مقاليد أمري؛ فاقبلني واسترني يا أرحم الراحمين، ثم مضى إلى أمه متغيِّر اللون، منكسر القلب، فكان إذا جنَّ الليل أخذ في القيام والبكاء، وأخذ في النحيب، **وهو يقول:**

يا دينار ألك قوة على النار كيف تعرَّضت لغضب الجبار

وظلَّ على ذلك أيامًا يقوم ليله، ويناجي ربه، فرفقت به أمه يوم رأت جسمه قد هزل، **فقالت له:**" يا بنيّ ارفق بنفسك قليلًا. فقال لها: يا أماه دعيني أتعب قليلًا؛ لعلي أستريح طويلًا، يا أماه... إن لي موقفًا بين يدي الجليل، ولا أدري أإلى ظل ظليل، أم إلى شر مقيل؟ يا أماه.. إني أخاف عناء لا راحة بعده. قالت: بنياه، أكثرت من تعب نفسك، قال: يا أماه بل راحتها أريد، يا أماه... ليتك كنت بي عقيمًا، إن لابنك حبسًا في القبر طويلًا، وإن له بعد ذلك وقوفًا بين يدي الرحمن طويلًا، فكان يقوم ليله، **ويقرأ قول الله تعالى:** ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر:٩٢،٩٣) فيبكي بكاءً شديدًا، ثم يخر مغشيًا عليه".

٩- جزاء من استقام على الصراط المستقيم:

فمن استقام في الدنيا على الصراط المستقيم (الذي ضربه الله في الدنيا وهو: الإيمان والعمل الصالح) استقام على الصراط المستقيم المنصوب على ظهر جهنم:

أخي الحبيب... اعلم أن العلماء قد عرَّفوا الصراط لغة: بأنه الطريق الواضح، فمتى استقام الإنسان على الصراط المستقيم الذي ضربه الله له في الدنيا، اتسع له الصراط الذي على متن جهنم، ومَن عدل عن الاستقامة في الدنيا تعثَّر وتردَّى في نار جهنم عياذًا بالله، ومتى خالف الإنسان هواه واتَّبع مولاه سلم من الخطاطيف والكلاليب يوم القيامة التي على الصراط، ومَن تخطَّفته الشهوات والأهواء وبَعُد عن رب الأرض والسموات، تخطَّفته الكلاليب والخطاطيف وألقته في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

(سورة مريم:٧١،٧٢)

نسأل الله تعالى أن يُنجِّينا من جهنم بكرمه ومَنِّهِ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأن يُثبِّت أقدامنا على الصراط.

يقول ابن رجب-رحمه الله- في كتابه "التخويف من النار والتعريف بحال البوار ص: ٢٣٠:"وذلك أن الإيمان والعمل الصالح في الدنيا هو الصراط المستقيم في الدنيا الذي أمر الله العباد بسلوكه والاستقامة عليه، وأمرهم بسؤال الهداية إليه، فمَن استقام سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا ظاهرًا وباطنًا، استقام مشيُه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم، ومَن لم يستقم سيره على هذا الصراط المستقيم في الدنيا، بل انحرف عنه إما إلى فتنة الشبهات أو إلى فتنة الشهوات؛ كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له عن هذا الصراط المستقيم، ***كما في حديث أبي هريرة*** ﷺ: " **إنها تخطف الناس بأعمالهم...**".

- ***ويقول ابن القيم -رحمه الله- كما في "مدارج السالكين: ١/ ١٦":*** "وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على شفير جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذلك الصراط، فمنهم مَن يمرُّ كالبرق، ومنهم مَن يمرُّ كالطرف، ومنهم مَن يمرُّ كالريح، ومنهم مَن يمر كشد الرِّكاب، ومنهم مَن يسعى سعيًا، ومنهم مَن يمشي مشيًا، ومنهم مَن يحبو حبوًا، ومنهم المخدوش المُسلَّم، ومنهم المكدوس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حذو القُذَّة بالقُذَّة جزاءً وفاقًا، هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ". اهـ

- ***ويقول ابن القيم -رحمه الله- متحدثًا عن الصراط المستقيم:*** " ولذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته، إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم، فليس العبد أحوج منه إلى هذه الدعوة، وليس شيء أنفع له منها. فإن الصراط المستقيم يتضمَّن علومًا وإرادات وأعمالًا وتروكًا ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت، فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد، وقد لا يعلمها، وقد يكون ما لا يعلمه أكثر مما يعلمه، وما يعلمه قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه، وهو الصراط المستقيم وإن عجز عنه، وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده، كسلًا وتهاونًا، أو لقيام مانع... وغير ذلك، وما تريده قد يفعله وقد لا يفعله، وما يفعله قد يقوم فيه شرط بشروط الإخلاص وقد لا يقوم، وما يقوم فيه بشروط الإخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم، وما يقوم فيه بالمتابعة قد يثبت عليه وقد يصرف قلبه عنه، وهذا كله واقع سار في الخلق، فمستقل ومستكثر.

وليس في طباع العبد الهداية إلى ذلك، بل متى وكل إلى طباعه حيل بينه وبين ذلك كله، وهذا هو الإركاس الذي أركس الله به المنافقين بذنوبهم، فأعادهم إلى طباعهم وما خلقت عليه نفوسهم من الجهل والظلم، والرب تبارك وتعالى على صراط مستقيم في قضائه وقدره، ونهيه وأمره، فيهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم بفضله ورحمته، وجعله الهداية حيث تصلح، ويصرف مَن يشاء عن صراطه المستقيم بعدله وحكمته لعدم صلاحية المحل، وذلك موجب صراطه المستقيم الذي هو عليه، فإذا كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطًا مستقيمًا يوصلهم إليه، فهو على صراط مستقيم.

ونصب لعباده من أمره صراطًا مستقيمًا دعاهم جميعًا إليه حجة منه وعدلًا، وهدى مَن شاء منهم إلى سلوكه نعمة منه وفضلًا، ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل عن صراطه المستقيم الذي هو عليه، فإذا كان يوم لقائه نصب لخلقه صراطًا مستقيمًا يوصلهم إلى جنته، ثم صرف عنه مَن صرف عنه في الدنيا، وأقام عليه مَن أقامه عليه في الدنيا نورًا ظاهرا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم في ظلمة الحشر، وحفظ عليهم نورهم حتى قطعوه (أي الصراط) كما حفظ عليهم الإيمان به حتى لقوه، وأطفأ نور المنافقين أحوج ما كانوا إليه، كما أطفأ من قلوبهم في الدنيا.

وأقام أعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكًا تخطفهم كما خطفتهم في الدنيا عن الاستقامة عليه،

وجعل قوة سيرهم وسرعتهم عليه على قدر قوة سيرهم وسرعتهم في الدنيا، ونصب للمؤمنين حوضًا يشربون منه بإزاء شربهم من شرعه في الدنيا، وحرم من الشرب منه هناك من حرم من الشرب من شرعه ودينه هاهنا.

فانظر إلى الآخرة كأنها رأي عين، وتأمَّل حكمة الله سبحانه في الدارين، تعلم حينئذ علمًا يقينًا لا شك فيه: أن الدنيا مزرعة الآخرة وعنوانها وأنموذجها، وأن منازل الناس فيها من السعادة والشقاوة على حسب منازلهم في هذه الدار في الإيمان والعمل الصالح وضدهما، وبالله التوفيق. اهـ. (الداء والدواء: ص:١٤٨)

- **فمن أعظم عقوبات الذنوب، الخروج عن الصراط المستقيم في الدنيا والآخرة.**

قال سهل بن عبد الله التستري-رحمه الله-:" مَن دقَّ الصراط عليه في الدنيا؛ عَرُضَ عليه في الآخرة، ومَن عَرُضَ عليه الصراط في الدنيا؛ دقَّ له في الآخرة ". اهـ. (حلية الأولياء لأبي نعيم:١٠/١٩٧)

وقال ابن رجب-رحمه الله- معلقًا على قول سهل التستري:" ومعنى هذا أن مَن ضَيَّق على نفسه في الدنيا باتباع الأمر واجتناب النهي وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم في الدنيا؛ كان جزاؤه أن يتَّسع له الصراط في الآخرة، ومَن وسَّع على نفسه في الدنيا باتباع الشهوات المُحرَّمة والشبهات المُضلة حتى خرج عن الصراط المستقيم؛ ضاق عليه الصراط في الآخرة، بحسب عمله، والله أعلم ". اهـ

(التخويف من النار: ص٢٣٣)

الوصية العاشرة: عليك في رمضان وفي غيره أن تدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وترفق بالناس:

فمع بداية شهر رمضان تجد المساجد قد اكتظت بالمصلين، وكثر أعداد المقبلين على رب العالمين، ومنهم التائب الذي لم يسجد لله سجدة، ومنهم الجاهل الذي لم يفقه في دينه شيئًا، ومنهم.. ومنهم... فعلينا أن نرفق بمثل هؤلاء ونحنو عليهم، ونعلمهم ولا نغلظ عليهم. ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة.

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٢١)

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

(سورة التوبة: ١٢٨)

قال السعدي-رحمه الله-في تفسير هذه الآية:" يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم.﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى

الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم. ولهذا كان حقه مقدمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره ". اهـ

فكان رسول الله ﷺ يعلم الجاهل برفق، ويحنو على الضعيف المسكين، ولا يعاتب من أذنب وجاء تائبًا مستفتيًا؛ والنماذج على ذلك كثيرة من سيرته ﷺ والتي تفيض بالحب، والعطف، والرحمة، والرفق، والنصح، والتيسير. **وهو القائل** ﷺ:"... إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا ".

(رواه مسلم من حديث جابر ﷺ)

وإليك أخي الحبيب صوراً من رحمته ورأفته ﷺ بالناس:

١- الرفق بمن تكلم في الصلاة:

في بداية الإسلام كانوا يتكلمون **كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم وأبو داود والترمذي واللفظ له من حديث زيد بن أرقم ﷺ قال:** كنَّا نتكَلَّمُ خَلفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ في الصَّلاةِ، يُكلِّمُ الرَّجُلُ منَّا صَاحبَه إلى جنبِه، حتَّى نزلت ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فأمرنا بالسُّكوتِ ونُهينا عنِ الكلامِ ".

(صحيح الترمذي: ٤٠٥) (وأخرجه البخاري دون قوله: ونهينا عن الكلام)

لكن هذا الحكم لم يعلمه معاوية بن الحكم السلمي ﷺ، فتكلم في الصلاة جهلًا، فانظر ماذا فعل النبي ﷺ معه.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: بيْنَا أنَا أُصَلِّي مع رَسولِ اللهِ ﷺ، إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي القَوْمُ بأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: واثُكْلَ أُمِّيَاهْ، ما شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأَيْدِيهِمْ علَى أفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هو وأُمِّي، ما رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ ولَا بَعْدَهُ أحْسَنَ تَعْلِيمًا منه، فَوَاللَّهِ، ما كَهَرَنِي[1] ولَا ضَرَبَنِي ولَا شَتَمَنِي، قالَ: إنَّ هذِه الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شيءٌ مِن كَلَامِ النَّاسِ، إنَّما هو التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ وقِرَاءَةُ القُرْآنِ...".

قال الإمام النووي-رحمه الله- عند هذا الحديث: " فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخُلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه ".

١- ما كَهَرني: أي ما انتهَرني وزجَرني.

٢- الرفق بمن جاءه يستأذنه ﷺ في الزنا:

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ **أنَّ غلامًا شابًّا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا نبيَّ اللهِ! أتأذنُ لي في الزنا؟ فصاح الناسُ به، فقال النبيُّ ﷺ قَرِّبوهُ، ادْنُ فدنا حتى جلس بين يديْهِ، فقال النبيُّ ﷺ: أتحبُّه لأُمِّكَ فقال: لا، جعلني اللهُ فداك، قال: كذلك الناسُ لا يُحبُّونَه لِأمَّهاتِهم، أتحبُّه لابنتِك؟ قال: لا، جعلني اللهُ فداك قال: كذلك الناسُ لا يُحبُّونَه لبناتِهم، أتحبُّه لأختِك؟ وزاد ابنُ عوفٍ حتى ذكر العمَّةَ والخالةَ، وهو يقولُ في كلِّ واحدٍ لا، جعلني اللهُ فداك، وهو ﷺ يقولُ كذلك الناسُ لا يُحبُّونَه، فوضع رسولُ اللهِ ﷺ يدَه على صدرِه وقال: اللهمَّ طهِّرْ قلبَه واغفر ذنبَه وحصِّنْ فَرْجَه فلم يكن شيءٌ أبغضَ إليه منه ".**

لقد انتفض الصحابة عند سماع الاستئذان في الزنا من الشاب، فزجروه:" **مه.. مه**"، ولكن النبي ﷺ عالجه بطريقة أخرى وذلك بيان مفاسد مطلبه، وسوء عواقبه، وفي هذا إرشاد للمعلمين والمربين والدعاة باللطف بالجاهل قبل التعليم، فذلك أنفع له من التعنيف، ثم لا وجه للتعنيف لمن لا يعلم، فالإقناع برفق وحكمة هو الباب الصحيح لصرف العقول والقلوب عن المخالفات.

فالنبي ﷺ لم ينظر إلى الشاب على أنه معدوم الحياء والخير فاقدًا للأدب، بل تفهم حقيقة ما بداخله من شهوة ولمس جانب الخير فيه، فتعامل معه بمنطق الإقناع والحوار العقلي مع الشفقة والحب، ويأخذ بيده بحلم ورفق وحكمة، فأثابه إلى رشده، وأرجعه إلى طريق العفة والاستقامة، حتى أصبح رافضا للرذيلة، كارها لها.

٣- الرفق بمن جامع زوجته في نهار رمضان:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ ***قال:*** **بيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، إذْ جَاءَهُ رَجُلٌ[١] فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ! هَلَكْتُ. قَالَ: ما لَكَ؟ قَالَ: وقَعْتُ علَى امْرَأَتي وأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهلْ تَسْتَطِيعُ أنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَ: لَا، فَقَالَ: فَهلْ تَجِدُ إطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا. قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَكَثَ النبيُّ ﷺ، فَبيْنَا نَحْنُ علَى ذلكَ أُتِيَ[٢] النبيُّ ﷺ بعَرَقٍ[٣] فِيهَا تَمْرٌ - والعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: أيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: أنَا، قَالَ: خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ به فَقَالَ الرَّجُلُ: أعَلَى أفْقَرَ مِنِّي يا رَسولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ ما بيْنَ لَابَتَيْهَا[٤]-يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ- أهْلُ بَيْتٍ أفْقَرَ مِن أهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتَّى بَدَتْ أنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: أطْعِمْهُ أهْلَكَ ".**

وفي الحديث: الرِّفقُ بالمُتعلِّم، والتَّلطُّفُ في التَّعليمِ، والتَّأليفُ على الدِّين.

١- الرجل: اسمه "سلمان بن صخر"

٢- بالبناء للمجهول، لأنه وقع في رواية البخاري (فجاء رجل من الأنصار)، وفي رواية الدارقطني (فجاء رجل من ثقيف).

٣- العَرَق أو العَرْق: بفتح الراء أو سكونها وهو الزنبيل وهو المكتل الذي يسع خمسة عشر صاعًا. والصَّاعُ يُساوي بالجرامِ (٢٠٣٦) في أقلّ تَقديرٍ، وفي أعْلى تَقْديرٍ يُساوي (٤٢٨٨) جرامًا.

٤- لابتيها: بين طرفي المدينة. والحَرَّة: الأرض تكون تربتها سود، لابتي المدينة: وهما حرتاها الشرقية - شرقي البقيع، وتسمى حرة واقم، والغربية: غربي سلع، وتسمى حرة الوبرة.

- ***وفي رواية عند الترمذي بسند صحيح من حديث عن سلَمةَ بنِ صخرٍ الأنصاريِّ ﷺ قالَ:*** كنتُ رجلًا قد أوتيتُ من جماعِ النِّساءِ ما لم يؤتَ غيري، فلمَّا دخلَ رمضانُ تظاهرتُ مِن امرأتي حتَّى ينسلخَ رمَضانُ[1] فرَقًا من أن أصيبَ منها في ليلي فأتتابعَ في ذلِكَ إلى أن يُدْرِكَني النَّهارُ وأَنا لا أقدِرُ أن أنزعَ، فبينما هيَ تخدُمُني ذاتَ ليلةٍ إذ تكَشَّفَ لي منها شيءٌ فوثبتُ عليها، فلمَّا أصبحتُ غدوتُ علَى قومي فأخبرتُهُم خبري فقلتُ: انطلقوا معي إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأُخْبِرَهُ بأمري، فقالوا: لا واللَّهِ لا نفعلُ، نتخوَّفُ أن ينزلَ فينا قرآنٌ أو يقولَ فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ مَقالةً يُبقي علَينا عارُها، ولَكِن اذهب أنتَ فاصنَع ما بدا لَكَ. قالَ: فخَرجتُ فأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرتُهُ خبري، فقالَ: أنتَ بذاكَ؟ قلتُ: أَنا بذاكَ[2]. قالَ: أنتَ بذاكَ؟ قلتُ: أَنا بذاكَ. قالَ: أنتَ بذاكَ؟ قلتُ: أَنا بذاكَ، وَها أَنا ذا فأمضِ فيَّ حُكْمَ اللَّهِ فإنِّي صابرٌ لذلِكَ. قالَ: أعتِق رقبةً. قالَ: فضَربتُ صفحةَ عُنقي بيدي، فقلتُ: لا والَّذي بعثَكَ بالحقِّ ما أصبحتُ أملِكُ غيرَها. قالَ: فصم شَهْرين. قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! وَهَل أصابَني ما أصابَني إلَّا في الصِّيامِ. قالَ: فأطعِم ستِّينَ مسكينًا: قلتُ: والَّذي بعثَكَ بالحقِّ لقد بِتنا ليلتَنا هذِهِ وحشَى، ما لَنا عشاءٌ. قالَ: اذهَب إلى صاحبِ صدقةِ بَني زُرَيْقٍ، فقل لَهُ فليَدفعها إليكَ فأطعِم عنكَ منها وسقًا ستِّينَ مِسكينًا، ثمَّ استعن بسائرِهِ عليكَ وعلى عيالِكَ قالَ: فرجَعتُ إلى قومي، فقلتُ: وجدتُ عندَكُمُ الضِّيقَ وسوءَ الرَّأيِ، ووجدتُ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ السَّعةَ والبرَكَةَ، أمرَ لي بصدقتِكُم فادفعوها إليَّ فدفعوها إليَّ ". (صحيح الترمذي: ٣٢٩٩)

٤- الرفق بمن جاء يسأله ﷺ عن أمر دينه:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي رفاعة العدوي ﷺ قال: انْتَهَيْتُ إلى النبيِّ ﷺ وَهو يَخْطُبُ، قالَ: فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ! رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينِهِ، لا يَدْرِي ما دِينُهُ، قالَ: فأقْبَلَ عَلَيَّ رَسولُ اللهِ ﷺ، وتَرَكَ خُطْبَتَهُ حتَّى انْتَهَى إلَيَّ، فَأُتِيَ بكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قالَ: فَقَعَدَ عليه رَسولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي ممَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فأتَمَّ آخِرَهَا ".

قال النووي-رحمه الله- في" شرحه على مسلم": " وفي الحديث تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم ". اهـ

١- الظهارُ: أنْ يَقولَ أحَدُهم لزَوجتِه أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمِّي أو أُختي، وكان العرَبُ قبلَ الإسلامِ يَعُدُّون الظِّهارَ طَلاقًا، فتُطلَّقُ الزوجةُ الذي ظاهَرَ زوجُها منها، حتَّى أتَى الإسلامُ وشرَعَ لهم الطَّلاقَ، وجُعِلَ للظِّهارِ كفَّارةٌ إذا ما وقَع مِن أحَدِهم بَعدَ الإسلامِ. يقولُ سَلمةُ بنُ صخرٍ الأنصاريُّ ﷺ: " كنتُ رجلًا قد أُوتيتُ مِن جِماعِ النِّساءِ ما لم يُؤتَ غيري"، أي: أوتيتُ مِن كَثرَتِه مِن القُوَّةِ على ذلك،" فلمَّا دخَل رمضانُ تَظاهَرتُ مِن امرَأتي"، أي: وقَع مِنه الظِّهارُ قاصِدًا بذلك الامتِناعَ عَن جِماعِها لا مُفارَقَتَها، "حتَّى يَنسَلِخَ رَمضانُ"، أي: كان الظِّهارُ مُوقَّتًا لمدَّةِ شهرِ رمَضانَ

٢- وقولُ النَّبيِّ ﷺ:" أنتَ بذاك؟"، أي: أنت الَّذي يقَعُ مِنك ذلك، وهذا كنايةٌ عن عِتابِه الشَّديدِ على ما فعَل سَلمةُ، وانتِهاكِه لِما حرَّم اللهُ تعالى، قلتُ: "أنا بذاك"، أي: أنا الذي وقَع منه ذلك، كنايةً عن استِشْعارِه لعِتابِ رسولِ اللهِ ﷺ، ونَدمِه عليه.

ولقد كان المستفتون يأتونه، فيسألونه ويحاورونه وهم مطمئنون واثقون بأنهم نازلون على معلم كريم رحيم. بل إنه ليداعب بعضهم، ويسلي عنهم، ***كما ترى في هذا الحديث الذي رواه البخاري عن عدي بن حاتم*** ﷺ ***قال: لما نزلت هذه الآية:*** ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾، قال: أخذت عقالًا أبيض وعقالًا أسود فوضعتهما تحت وسادتي، فنظرت فلم أتبين، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ له فضحك، فقال: إن وسادك إذن لعريض طويل، إنما هو الليل والنهار ".

ولم يأمره النبي ﷺ بقضاء، فدل على أن الجهل بالحكم رافع لوجوب القضاء[1].

٥- الرفق بمن رفع صوته في المسجد:

فقد أخرج الإمام مالك بسنده أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَا يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ.

وأخرج الإمام أحمد من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: " اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأواخر من رمضان فاتخذ له بيتًا من سعف، فأخرج رأسه ذات يوم، فقال:" إن المصلي يناجي ربه فلينظر أحدكم بما يناجي ربه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة ".

وأخرج البخاري من حديث عبادة بن الصامت ﷺ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يُخْبِرُ بلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلَاحَى رَجُلَانِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: إنِّي خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بلَيْلَةِ القَدْرِ، وإنَّه تَلَاحَى فُلَانٌ وفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ، وعَسَى أنْ يَكونَ خَيْرًا لَكُمْ، التَمِسُوهَا في السَّبْعِ والتِّسْعِ والخَمْسِ ".

٦- الرفق بمن بال في المسجد:

أخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ ***قال:*** دخلَ أعرابيٌّ المسجدَ والنَّبيُّ ﷺ جالسٌ، فصلَّى فلمَّا فرغَ قالَ اللَّهمَّ ارحمني ومحمَّدًا ولا ترحمْ معنا أحدًا فالتفتَ إليهِ النَّبيُّ ﷺ فقالَ:" لقد تحجَّرتَ[2] واسعًا "، فلم يلبثْ أن بالَ في المسجدِ فأسرعَ إليهِ النَّاسُ فقالَ النَّبيُّ ﷺ:" أهريقوا عليهِ سَجْلًا من ماءٍ أو دلوًا من ماءٍ، ثمَّ قالَ:" إنَّما بُعثتُم ميسِّرينَ ولم تبعثوا معسِّرينَ ". (صحيح الترمذي: ١٤٧)

١- من تأمل في نصوص الشريعة المطهرة تجلى له أن مفطرات الصائم لا تفسد الصوم إلا بثلاثة شروط: الأول: العلم، فإذا أتى المرء شيئًا من المفطرات جاهلًا فلا شيء عليه، سواء أكان جهله بحكم كون الشيء مفطرًا ففعله، أم جاهلًا بالوقت؛ كأن يظن أن وقت الفجر لم يدخل فأكل وشرب. الثاني: ذكر الصيام، فمن نسي كونه صائمًا لم يفسد صومه، وإن وجب على من حوله تذكيره. الثالث: الاختيار، فمن أكره أو لم يتقصد الفطر لم يفسد صومه. (انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين:٢٨١/٩)

٢- تحجَّرتَ: ضيقت.

وأخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **بينَما نَحْنُ في المَسْجِدِ مع رَسولِ اللهِ ﷺ إذْ جاءَ أعْرابِيٌّ فَقامَ يَبُولُ في المَسْجِدِ، فقالَ أصْحابُ رَسولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ[1]، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: لا تُزْرِمُوهُ[2] دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حتَّى بالَ، ثُمَّ إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ دَعاهُ فقالَ له: إنَّ هذِه المَساجِدَ لا تَصْلُحُ لِشيءٍ مِن هذا البَوْلِ، ولا القَذَرِ إنَّما هي لِذِكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والصَّلاةِ وقِراءَةِ القُرْآنِ، قالَ: فأمَرَ رَجُلًا مِنَ القَوْمِ فَجاءَ بدَلْوٍ مِن ماءٍ فَشَنَّهُ[3] عليه ".**

قال ابن حجر-رحمه الله-: " وفي الحديث الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادًا ". اهـ

وقال النووي-رحمه الله-: " وفيه الرّفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيفٍ ولا إيذاء، إذا لم يأتِ بالمخالفة استخفافًا أو عنادًا، وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما ".

والنبي كان رفيقًا رحيمًا بهذا الأعرابي ولقد علم النبي ﷺ أصحابه والأمة من بعدهم الرفق بالجاهل وهو القائل: **" إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شَيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شَيءٍ إلَّا شانَهُ ".** (رواه مسلم)

أحبتي في الله... مما لا شك فيه أن المخطئ والجاهل والعاصي له حق على المسلمين ويتمثل هذا في نصحه وتوجيهه، وتقويم اعوجاجه بأفضل الطرق وأقومها، ولو أن الدعاة والمعلمين اقتدوا برسول الله ﷺ، وبذلوا جهدهم في نصح وتعليم المخطئ بهذا الأسلوب النبوي الكريم، وما فيه من حلم ورفق، ورحمة وحكمة، لأثروا بتعليمهم وأسلوبهم فيه تأثيرًا يجعله يستجيب لتنفيذ أمر الله تعالى وهَدْي رسوله ﷺ.

فما أجدر العلماء والدعاة والوعاظ أن يجتهدوا في تبصير الخلق وهدايتهم وردّهم ردًا جميلًا إلى دين الله ويتأكد هذا في شهر رمضان المبارك حيث يقبل عامة الناس على المساجد وتكثر أسئلتهم عن أحكام الصيام، والزكاة، والاعتكاف، وعما اقترفوه من الموبقات والذنوب، وهناك من يتكلم بسوء أدب وهناك من لا يستطيع أن يعرض مسألة بوضوح، وهناك من يألمه الذنب ويحتاج لمن يأخذ بيده إلى مرضاة الله. فالسائلون يحتاجون إلى قلوب رقيقة، وأيد حانية تمسح موضع الداء بلطف، وتعالجه برفق، وتخفف ألم المصاب أو المعصية.

١- مَهْ مَهْ: ما هذا.
٢- لا تُزْرِمُوهُ: لا تقطعوا بوله.
٣- فَشَنَّهُ: فصبه.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك